صحيح

السيرة النبوية

ما صح من «سيرة رسول الله ﷺ وذكر أيامه وغزواته وسراياه والوفود إليه»

للحافظ ابن كثير

بقلم

محمد ناصر الدين الألباني

(رحمه الله تعالى)

المكتبة الإسلامية

عمان - الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة لورثة
فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ

المكتبة الإسلامية
ص.ب: ١١٣ - الجبيهة - هاتف ٥٣٤٢٨٨٧
عمان - الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

إنّ الحمدَ لله ، نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أنفسنا ، ومِنْ سيئاتِ أعمالِنا ، مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لَهُ ، وأَشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ .

أمّا بعدُ ؛ فإنّ موضوعَ سِيَرِ الأنبياءِ والصالحينَ شيءٌ مُحَبَّبٌ إلى النفوسِ ، قريبٌ من القلوبِ ؛ لِمَا فيها مِنْ مواعظَ وحِكَمٍ وعِبَرٍ يستفيدُ منها الصالحونَ والعقلاءُ ، ويَسْتَمِدُّونَ منها قوةً تُعينُهم ، ونبْراساً يُنيرُ لهم ، وزاداً يَتَزَوَّدُونَ به في طريقِهِم إلى اللهِ تباركَ وتعالى ؛ قال اللهُ عز وجل : ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [يوسف : ١١١] .

وأَحَبُّ السِّيَرِ إلى القلوبِ وأعظمُها سيرةُ رسولِ اللهِ محمدٍ ﷺ ، فهو أعظمُ خَلْقِ اللهِ وأَحَبُّهم إليه ؛ بل هو سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ أجمعين .

ولأجلِ هذا ؛ فقد حازتِ السيرةُ النبويةُ على اهتمامِ كثيرٍ مِنَ العلماءِ ؛ فَكَتَبُوا فيها ، ولكنَّ كُتُبَهُمْ هذهِ امتلأتْ بالغَثِّ والسَّمِينِ مِنَ الضعيفِ والصحيحِ ، ولم تَحْظَ بالقَدْرِ الكافي مِن العنايةِ بها .

حَتَّى قَيَّضَ اللهُ العليُّ القَديرُ لها عَلَماً مِنَ الأَعْلامِ ، وفارساً لا يُشَقُّ له غُبَارٌ في علوم السنة ؛ وهو فَضيلةُ شيخِنا الوالدِ والمُرَبِّي الزاهِدِ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى ، فَشَمَّرَ عن ساقِ الجِدِّ والاجتهادِ في تمييز صحيح السيرة النبوية

من ضعيفها ، وكان السببُ في ذلكَ ؛ أنَّ اللهَ قَدَّرَ عليهِ أنْ يُسافرَ إلى (الشارقةِ) بدولةِ الإماراتِ ، فَوَقَعَ بينَ يَدَيْهِ كتابُ «خاتمُ النبيين ﷺ» للشيخ (محمد أبو زهرة) ، ورأى ما فيه من الطامّاتِ ، فعزمَ على خدمةِ سيرَةِ رسول الله ﷺ ، وشَرَحَ اللهُ صدرَهُ لتمييزِ الصحيح من الضعيفِ منْ كتابِ «السيرةُ النبويةُ» للحافظِ ابنِ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ، وبدأَ تَحقيقَهُ لهذا الكتابِ في (الشارقة) ، وسَمَّى مَشْرُوعَهُ هذا : «صَحيحُ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ ؛ مَا صَحَّ مِنْ **«سِيرَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذِكْرُ أَيَّامِهِ وَغَزَوَاتِهِ وَسَرَايَاهُ وَالوُفُودِ إِلَيْهِ» لِلْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ»** . واستدركَ فيهِ على ابنِ كثيرٍ العديدَ مِنَ الاستدراكاتِ المهمةِ ، ولكنَّ اللهَ تَوَفَّى الشيخَ قبلَ أنْ يُكْمِلَ مشروعَهُ ، وتوقَّفَ عملُهُ فيهِ عندَ (فصل الإسراء والمعراج) ، رَحِمَ اللهُ الشيخَ الألبانيَّ رحمةً واسعةً ، وجَزَاهُ عن الإسلامِ والمسلمينَ خيرَ الجزاءِ ، وحَشَرَهُ في زُمْرَةِ الأنبياءِ والصِّدِّيقينَ والشهداءِ والصالحين ، وحَسُنَ أولئكَ رَفيقاً .

ولقدْ رأتِ المكتبةُ الإسلاميةُ في (عَمَّانَ) أنْ تنشرَ هذا المُصَنَّفَ على هذهِ الصورةِ ؛ لتقدمَ للعالمِ الإسلاميِّ علمَ الشيخ ؛ لئلا يكونَ حبيسَ الخزائن ، وليستفيدَ منه العلماءُ وطلبةُ العلمِ ، ويُؤْجَرَ عليهِ الشيخُ رحمَهُ اللهُ في قبرِه ؛ مستعينةً على إخراجِهِ ـ في أحسنِ صورةٍ ممكنةٍ ـ ببعضِ طلبةِ العلمِ ، فجزاهُمُ اللهُ خيراً .

وصَلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبِيِّنا محمدٍ ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين .

عَمَّان ـ الشام   **الناشر**

الجمعة ١٥ صفر ١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة «صحيح السيرة النبوية»

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره .

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً﴾ [النساء : ١] ، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب : ٧٠ و٧١] .

أما بعد ؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أما بعد ؛ فقد كتب الله لي ـ لأسباب شرحتها في مقدمة «كشف الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار» ـ أن أسافر من بيروت إلى الشارقة صحبة أحد إخواننا فيها ، وأنزلني جزاه الله خيراً في منزله ، فوجدت في مكتبته كتاباً للشيخ محمد أبو زهرة بعنوان : «خاتم النبيين ﷺ» في مجلدين ، فقلبت فيه بعض الأوراق ، وتصفحت فيه كثيراً من الصفحات ، فرأيته قد . . .(١)

(١) [لم يكمل شيخنا الألباني ـ رحمة الله عليه ـ مقدمته هذه لـ «صحيح السيرة النبوية»] . الناشر .

منهجي في الكتاب

١ـ حذفت الطرق والشواهد التي يسوقها لتقوية الحديث ، واعتمدت على الرواية التي هي أكمل معنى إذا ثبتت .

٢ ـ حذفت السند الذي يسوقه كاملاً أو ناقصاً ، واكتفيت منه بذكر اسم الصحابي فقط ؛ إلا لفائدة أو ضرورة .

٣ ـ حذفت ما لا سند له أو كان مرسلاً أو معضلاً ؛ إلا ما صرح بأنه مجمع عليه أو نحوه .

٤ ـ قد ألخص أحياناً كلامه ليتناسب مع الاختصار الذي يقتضيه اقتصارنا على ما صح مما ذكره .

٥ ـ قد أستبدل بسياقه سياق المصدر الذي عزاه إليه ؛ لأنه في كثير من الأحيان يسوقه بمعناه أو قريباً منه ؛ الأمر الذي حمل محققه على أن يقول (ص٢٢٦)[١] :

٦ ـ استدركت بعض ما فاته تحت عنوان : [المستدرك][٢] .

---

(١) [لم ينقل شيخنا الألباني رحمه الله تعالى قول محقق «السيرة النبوية» لابن كثير ، وهو مصطفى عبدالواحد ؛ قال (٢٢٦/١) : «العجيب أن ابن كثير رحمه الله يعدل عن لفظ ابن إسحاق ، ويخلطه بما يفسد المعنى ، ولو أنه أثبته بنصه لكفى وأغنى . . . ولو ذهبنا نتتبع مفارقات المؤلف في نقله عن ابن إسحاق ؛ لطال بنا الأمر ، ويكفي أن نعلم أن ابن كثير يلخص المعنى بعبارته ، ويزيد ، ويحذف ، ولا يلتزم النص ؛ إلا قليلاً»] . الناشر .

(٢) [في نهاية كل مستدرك وضعنا عبارة : [انتهى المستدرك] ؛ لئلا يختلط كلام شيخنا الألباني بكلام ابن كثير رحمهما الله تعالى] . الناشر .



باب ذكر نسبه الشريف
وطيب أصله المنيف

قال الله تعالى : ﴿الله أعلم حيثُ يَجعلُ رسالته﴾ [الأنعام :١٢٤] .

ولما سأل هِرَقْلُ مَلِكُ الروم أبا سفيان تلك الأسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام قال : كيف نسبه فيكم؟ قال : هو فينا ذو نسب . قال : كذلك الرسل تبعث في أنساب قومها . يعني : في أكرمها أحساباً ، وأكثرها قبيلة ، صلوات الله عليهم أجمعين .

فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة .

أبو القاسم ، وأبو إبراهيم ، محمد ، وأحمد ، والماحي الذي يُمْحَى به الكفر ، والعاقب الذي ما بعده نبي ، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه(١) ، والمقفِّي ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، وخاتم النبيين ، وعبدالله(٢) .

قال البيهقي : وزاد بعض العلماء فقال : سماه الله في القرآن رسولاً ، نبيّاً ، أميّاً ، شاهداً ، مبشراً ، نذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ، ورؤوفاً رحيماً ، ومذكراً ، وجعله رحمة ونعمة وهادياً .

وهو ابن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب

---

(١) أي : على أثره .

(٢) قلت : الاسمان الأخيران وأحمد ثلاثتها في القرآن الكريم ، وسائرها في عدة أحاديث مخرجة ؛ بعضها في «تخريج الطحاوية» (ص٢٩٢) ، و«الأحاديث الصحيحة» (١٥٧١ و١٦٢٨) ، و«الروض النضير» (٤٠١ و١٠١٧) .

ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهو من ولد إسماعيل لا محالة ؛ على اختلاف كم أب بينهما .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء[1] ، فجميع قبائل عرب الحجاز ينتمون إلى هذا النسب ، ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى : ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ [الشورى :٢٣] : لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ نسب يتصل بهم[2] .

وقد روي من طرق مرسلاً وموصولاً : أن النبي ﷺ قال :

«خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ؛ من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»[3] . وهذا رواه ابن عدي عن علي ابن أبي طالب ، وسند المرسل جيد .

---

(١) قلت : ولهذا أوردته في هذا «الصحيح» التزاماً للمنهج الذي وضعته له ـ كما أوضحته في المقدمة ـ وقد استدل له الشيخ (أبو زهرة) في كتابه (٨٧/١) برواية ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا انتهى إلى عدنان أمسك ، ثم يقول : «كذب النسابون ، قال الله تعالى : ﴿**وقروناً بين ذلك كثيراً**﴾ [الفرقان : ٣٨]» .

وخفي عليه أنه حديث موضوع ؛ فيه كذاب اعترف هو نفسه بذلك ؛ كما هو مبين في «الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (١١١) .

(٢) رواه البخاري في «التفسير / الشورى» .

(٣) قلت : وقد تكلمت على طرقها في «إرواء الغليل» (١٩٧٢) ، وبمجموعها يرتقي الحديث إلى مرتبة الحسن ، ولذلك أوردته في «صحيح الجامع الصغير» (٣٢١٨ - ٣٢٢٠) .

وثبت في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

«بعثت من خير قرون بني آدم ؛ قرناً فقرناً ؛ حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه»[1] .

وفي «صحيح مسلم» من حديث واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال :

«إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم»[2] .

وروى الإمام أحمد عن المطلب بن أبي وداعة قال : قال العباس :

بلغه ﷺ بعض ما يقول الناس ؛ قال : فصعد المنبر ، فقال : «من أنا؟» . قالوا : أنت رسول الله . قال :

«أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً»[3] . صلوات الله وسلامه عليه دائماً أبداً إلى يوم الدين .

---

(١) وهو مخرج في «الأحاديث الصحيحة» (٨٠٩) .

(٢) وهو مخرج في المصدر السابق برقم (٣٠٢) ، والجملة الأولى ليست عند مسلم ؛ وإنما هي عند الترمذي وغيره بسند ضعيف ، فراجعه . فعزوه إليه لا يخفى ما فيه ؛ وإن قلده (أبو زهرة) في كتابه (١/٨١) .

(٣) انظره في «تخريج المشكاة» (٥٧٥٧) ، و«صحيح الجامع» (١٤٨٥) .

وثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال :

«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، ولا فخر»[1] .

(١) الحديث صحيح بلا ريب ؛ لكن عزوه لـ «الصحيح» بهذا التمام فيه نظر ، والمراد به هنا «صحيح مسلم» ، فإنه عنده (٥٩/٧) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بدون زيادة : «ولا فخر» ، وكذلك هو عند الشيخين عنه بلفظ : «أنا سيد الناس يوم القيامة . . .» الحديث بطوله في الشفاعة . وهو مخرج في «ظلال الجنة في تخريج السنة» (٨١١) ، وأما بالزيادة فقد رواه ابن حبان وغيره عن عبدالله بن سلام وغيره ، وهو مخرج في «الصحيحة» (١٥٧١) .

باب مولد رسول الله ﷺ

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين ؛ لما رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي قتادة أن أعرابياً قال : يا رسول الله ! ما تقول في صوم يوم الاثنين؟ فقال :

«ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل علي فيه»[1] .

وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل .

وقد رواه البيهقي عن ابن عباس[2] . وهو المجمع عليه ؛ كما قال خليفة بن خياط ، توفي أبوه عبدالله وهو حَمْل في بطن أمه على المشهور .

وفي الحديث الآتي (ص ١٦) : « . . . ورؤيا أمي الذي رأت حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»[3] .

---

(١) قلت : وأما تاريخ يوم الولادة ؛ فقد ذكر فيه وفي شهره أقوال ذكرها ابن كثير في الأصل ، وكلها معلقة ـ بدون أسانيد ـ يمكن النظر فيها ووزنها بميزان علم مصطلح الحديث ؛ إلا قول من قال : إنه في الثامن من ربيع الأول . فإنه رواه مالك وغيره بالسند الصحيح عن محمد بن جبير ابن مطعم ، وهو تابعي جليل ، ولعله لذلك صحح هذا القول أصحاب التاريخ واعتمدوه ، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي ، ورجحه أبو الخطاب بن دحية ، والجمهور على أنه في الثاني عشر منه . والله أعلم .

(٢) قلت : ورواه الحاكم (٢/٦٠٣) عنه ، وقال : «صحيح على شرط الشيخين» . وهو كما قال ، وبيَّض له الذهبي ، ويشهد له حديث قيس بن مخرمة قال : ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل ، فنحن لِدان . أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١/١٦٧) ، وعنه الحاكم وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ! وإنما هو حسن فقط .

(٣) أخرجه ابن إسحاق (١/١٧٥) ، وعنه الحاكم (٢/٦٠٠) ، وقال : «صحيح الإسناد» . ووافقه الذهبي .

قلت : وهو كما قالا ، وله شواهد خرجت بعضها في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٥٤٦) ، وصححه ابن حبان (٢٠٩٣) .

فصل

فيما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام

وروى محمد بن إسحاق عن حسان بن ثابت قال :

والله ؛ إني لغلام يَفَعَة[1] ؛ ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ما سمعت ، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمةٍ بـ (يثرب) : يا معشر يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له : ويلك مالك؟! قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به[2] .

وروى أبو نعيم ومحمد بن حيان عن أسامة بن زيد قال : قال زيد بن عمرو ابن نفيل :

قال لي حبر من أحبار الشام : قد خرج في بلدك نبي ، أو هو خارج ، قد خرج نجمه ، فارجع فصدقه واتبعه[3] .

ذكر ارتجاس الإيوان وسقوط الشرفات وخمود النيران ورؤيا الموبذان وغير ذلك من الدلالات

(ليس فيه شيء)

---

(١) [أي : إذا شبَّ ولم يَبْلُغْ] . الناشر .

(٢) قلت : وإسناده حسن ، وهو في «السيرة» (١٦٨/١) بهذا السياق ؛ خلافاً لسياقه في الأصل ، فليعلم .

(٣) قلت : وسنده حسن أيضاً .

ذكر حواضنه ومراضعه عليه الصلاة والسلام

أخرج البخاري ومسلم عن أم حبيبة بنت أبي سفيان [أنها] قالت : يا رسول الله ! انْكِحْ أختي بنت أبي سفيان (ولمسلم : عزة بنت أبي سفيان) ، فقال رسول الله ﷺ : «أَوَ تُحبِّينَ ذلك؟» . قلت : نعم ، لست لك بمُخْلِيَة[1] ، وأَحَبُّ مَنْ شارَكَني في خيرٍ أختي . فقال النبي ﷺ : «فإن ذلك لا يحل لي» . قالت : فإنّا نُحدَّث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة (وفي رواية : دُرَّة بنت أبي سلمة) . قال : «بنت أم سلمة؟!» . قلت : نعم . قال :

«إنها لو لم تكن ربيبتي في حَجْري[2] ما حلت لي ، إنها لابْنَةُ أخي من الرضاعة ، أرضعتني وأبا سلمة ثُويبة ، فلا تعرضنَّ عليَّ بناتكن ولا أخواتكن» .

زاد البخاري : قال عروة : وثويبة مولاة لأبي لهب أعتقها ، فأرضعت رسول الله ﷺ[3] .

---

(١) اسم فاعل من الإخلاء ؛ أي : لست بمنفردة بك ، ولا خالية من ضرة .

(٢) [بالفتح : التربية والحضانة والرعاية] . الناشر .

(٣) قلت : وتمامه في الأصل :

«فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر خيبة . فقال له : ماذا لقيت؟ فقال أبو لهب : لم ألق بعدكم خيراً ؛ غير أني سُقيت في هذه بعتاقتي ثويبة . وأشار إلى النقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع» .

هكذا ذكره ابن كثير من تمام زيادة البخاري ، ولكن ليس عنده قوله : «وأشار إلى النقرة . . .» ، إلخ ، وإنما هي في رواية الإسماعيلي ؛ كما ذكره الحافظ ابن حجر .

وإنما حذفت هذه الزيادة ؛ لأنها ليست على شرطنا ، فإنها أولاً : مرسلة من قبل عروة . =

وروى ابن إسحاق عن نفر من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك . قال :

«نعم ؛ أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام .

واسترضعتُ في بني سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بَهماً لنا ؛ إذ أتاني رجلان ـ عليهما ثياب بيض ـ بطست من ذهب مملوء ثلجاً ، ثم أخذاني فشقّا بطني ، واستخرجا قلبي فشقّاه ، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زِنْهُ بعشرة من أمته . فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زِنْهُ بمئة من أمته . فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زِنْهُ بألف من أمته . فوزنني بهم فوزنتهم ، فقال :

= وثانياً : أنه لو فرض ثبوت وصله إلى الرائي فهو مجهول ، فلا حجة في خبره . وثالثاً : أنها رؤيا منام ، فلا قيمة لها ؛ لا سيما في مثل ذاك الكافر أبي لهب الذي أنزل الله في ذمه : ﴿تبت يدا أبي لهب . .﴾ . ولذلك قال الحافظ :

«وفي الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة ؛ لكنه مخالف لظاهر القرآن ؛ قال تعالى : ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ [الفرقان : ٢٥] . وأجيب بأن الخبر مرسل ، أرسله عروة ، ولم يذكر من حدثه به . وعلى تقدير أن يكون موصولاً ؛ فالذي في الخبر رؤيا منام ، فلا حجة فيه ، ولعل الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد ، فلا يحتج به . وثانياً : على تقدير القبول ؛ فيحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبي ﷺ مخصوصاً من ذلك بدليل قصة أبي طالب ـ كما تقدم ـ أنه خفف عنه ، فنقل من الغمرات إلى الضحضاح» .

وأما ما ذكره الشيخ (أبو زهرة) (١٢١/١) ؛ أن ثويبة كانت أول من أعلم أبا لهب بولادة ابن أخيه محمد ، فأعتقها لهذه البشرى الكريمة ؛ فمما لا أصل له في الرواية ، وإنما علقه المؤلف تعليقاً بدون سند !

دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها» .

وإسناده جيد قوي[1] .

وقد روى أحمد وأبو نعيم في «الدلائل» عن عتبة بن عبد : أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال :

«كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ، ولم نأخذ معنا زاداً ، فقلت : يا أخي ! اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا . فانطلق أخي ومكثت عند البهم ، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو؟ فقال : نعم . فأقبلا يبتدراني ، فأخذاني فبطحاني للقفا ، فشقّا بطني ، ثم استخرجا قلبي فشقّاه ، فأخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه : ائتني بماء وثلج . فغسلا به جوفي ، ثم قال : ائتني بماء برد ، فغسلا به قلبي ، ثم قال : ائتني بالسكينة . فذرها في قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطه . فخاطه ، وختم على قلبي بخاتم النبوة ، فقال أحدهما لصاحبه : اجعله في كفة ، واجعل ألفاً من أمته في كفة . فإذا أنا أنظر إلى الألف فوق ؛ أشفق أن يخر عليَّ بعضهم ، فقال : لو أن أمته وزنت به لمال بهم . ثم انطلقا فتركاني ، وفَرَقْتُ فَرَقاً شديداً ، ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيت ، فأشفقت أن يكون قد لبس بي ، فقالت : أعيذك بالله . فرحلت بعيراً لها ، وحملتني على الرحل ، وركبت خلفي ، حتى بلغنا إلى أمي ، فقالت : أديت أمانتي وذمتي . وحدثتها بالذي لقيتُ ، فلم يَرُعها ، وقالت : إني رأيت

---

(١) قلت : وهو كما قال ، وقد مضى الطرف الأول منه (ص١٣) مع تخريجه ، وسيأتي (ص٥٣) .

خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام»[1] .

وثبت في «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك :

أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، واستخرج معه علقة سوداء ، فقال : هذا حظ الشيطان . ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأَمَهُ ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ـ يعني : ظئره ـ فقالوا : إن محمداً قد قتل . فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس : وقد كنت أرى ذلك المخيط في صدره[2] .

---

(١) قلت : ورجاله ثقات ؛ غير أن بقية بن الوليد مدلس ، وقد عنعنه ؛ لكنه قد صرح بالتحديث في رواية الحاكم (٢/٦١٦ ـ ٦١٧) ، وقال : «صحيح على شرط مسلم» ! ووافقه الذهبي ! وإنما هو صحيح فقط ؛ فإن من رواته بَحِير بن سعد ، ولم يرو له مسلم ، وانظر «الصحيحة» (٣٧٣) .

(٢) مسلم (١/١٠١ - ١٠٢) .

قلت : وهذا الحديث مع صحته وصحة شواهده ـ التي قبلها وغيرها مما أشرت إليه في «تخريج فقه السيرة» (ص٦٤) ـ فقد شكك في ثبوتها الشيخ (أبو زهرة) ؛ مع أنه ذكر حديث مسلم هذا ثم قال (١/١٢٧) :

«ونحن نرى أن الأخبار بالنسبة للشق لا تخلو من اضطراب ، وعلى فرض أنها صحيحة لا نقول : إنها غير مقبولة (!) بل إنا نقبلها إن صحت ، ولكن الاضطراب في خبرها يجعلنا غير رادين ولا مصدقين» !

أقول : بمثل هذه الفلسفة المتناقضة يرد هذا الشيخ هذه الأحاديث الصحيحة ، ويتلاعب بالألفاظ ليضل به الناس عما يوسوس إليه الخناس ، فإن أقل الناس علماً وعقلاً يعلم أنه إن =

وفي «الصحيحين» عن أنس ، وعن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ في حديث الإسراء ـ كما سيأتي ـ قصة شرح الصدر ليلتئذٍ ، وأنه غسل بماء زمزم .

ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين : مرة وهو صغير ؛ ومرة ليلة الإسراء ليتأهب للوفود إلى الملأ الأعلى ، ولمناجاة الرب عز وجل ، والمثول بين يديه سبحانه وتعالى .

والمقصود أن بركته عليه الصلاة والسلام حلت على حليمة السعدية وأهلها وهو صغير ، ثم عادت على هوازن ـ بكمالهم ـ فَوَاصِلُهُ حين أسرهم بعد وقعتهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر ، فَمَتُّوا[1] إليه برضاعه فأعتقهم ، تحنن عليهم ، وأحسن إليهم ؛ كما سيأتي مفصلاً في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال محمد بن إسحاق في وقعة (هوازن) : عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال :

كنا مع رسول الله ﷺ بـ (حُنين) ، فلما أصاب من أموالهم وسباياهم ؛ أدركه

= صح الاضطراب الذي ادعاه فيها لزم منه أنها غير مقبولة ؛ لأن الحديث المضطرب عند العلماء ليس مقبولاً ، وإذا كان الأمر كذلك لزم ردها ، فكيف يقول : إن الاضطراب يجعلنا نقف غير رادين ولا مصدقين؟! ألا ترى أنك إن قدمت إلى رجل مالاً فلم يأخذ ؛ فسواء قلت عنه : لم يقبله ، أو : رده . فالمعنى واحد لا يخفى على أحد ، فكيف يمكن أن يخفى على (الإمام محمد أبو زهرة) ؛ كما جاء في طرة كتابه؟!

والحقيقة أن أحاديث شق الصدر الشريف صحيحة ، لا يشك فيها إلا ضعفاء الإيمان ، أو من لا إيمان عندهم من الدهريين وغيرهم ، وأن الاضطراب المزعوم فيها لا حقيقة له إلا مجرد الدعوى ؛ لتسليك ردها على القراء من حضرة (الإمام) !

(١) [أي : توسلوا] . الناشر .

وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ! إنا أهل[1] وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا مَنَّ الله عليك . وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال : يا رسول الله ! إن ما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كنَّ يكفلنك ، فلو أنا ملحنا ابن أبي شمر ، أو النعمان بن المنذر ، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك ؛ رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت خير المكفولين . ثم أنشد :

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وندخر

امنن على بيضة قد عاقها قدر ... ممزق شملها في دهرها غِيَر

أبقت لنا الدهر هَتَّافاً على حَزَن ... على قلوبهم الغماء والغمر

إن لم تداركها نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلماً حين يختبر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذْ فوك يملؤه من محضها درر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر

لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فإنا معشر زهر

إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر[1]

---

(١) في «السيرة» : «أصل» ، ولعله الصواب ، فإنه كذلك عند الطبراني .

(١) «سيرة ابن هشام» (١٣١/٤) ، ولم يذكر الشعر ، وصرح عنده ابن إسحاق بالتحديث ، فالسند حسن ، وقد رواه الطبراني عن ابن إسحاق وفيه الشعر ، ويشهد له ما بعده ، وهما مخرجان في «الصحيحة» (٣٢٥٢) .

وقد رويت هذه القصة عن أبي صرد زهير بن جرول ـ وكان رئيس قومه ـ قال :

لما أسرَنا رسول الله ﷺ يوم حنين ؛ فبينا هو يميز بين الرجال والنساء ، وَثَبْتُ حتى قعدت بين يديه ، وأسمعته شعراً أُذكِّرُهُ حين شب ونشأ في (هوازن) حين أرضعوه :

امنن علينا رسول الله في دعة ... فإنك المرء نرجوه وننتظر

امنن على بيضة قد عاقها قدر ... ممزق شملها في دهرها غِيَر

أبقت لنا الحرب هَتَّافاً على حزن ... على قلوبهم الغمّاء والغمر

إن لم تداركها نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلماً حين يختبر

امنن على نسوة قد كنت تَرضعها ... إذْ فوك تملؤه من محضها الدرر

إذْ أنت طفلٌ صغير كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر

لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فإنا معشر زُهُرُ

إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فألبس العفو من قد كنت ترضعه ... من أمهاتك إن العفوَ مشتهر

إنا نؤمل عفواً منك تلبسه ... هذي البرية إذ تعفو وتنتصر

فاغفر عفا الله عما أنت راهبه ... يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

قال : فقال رسول الله ﷺ :

«أمَّا ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لله ولكم» .

فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله ﷺ[1] .

وسيأتي أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية ، وكانت ستة آلاف ما بين صبي وامرأة ، وأعطاهم أنعاماً وأناسي كثيراً .

فهذا كله من بركته العاجلة في الدنيا ، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة؟!

(١) أخرجه الطبراني في «معاجمه الثلاثة» بإسناد فيه جهالة ، وقد حسنه الحافظ ، ورواه الضياء المقدسي في «المختارة» ، وهو قوي بما قبله ، ولذلك خرجته في «الصحيحة» ؛ كما ذكرت آنفاً .

فصــل

روى الإمام أحمد عن بريدة قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ ، حتى إذا كنا بـ (وَدّان) قال :

«مكانكم حتى آتيكم» . فانطلق ، ثم جاءنا وهو ثقيل ، فقال :

«إني أتيت قبر أم محمد ، فسألت ربي الشفاعة ـ يعني : لها ـ فمنعنيها[1] ، وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» .

ورواه البيهقي من طريق أخرى عنه بلفظ :

انتهى النبي ﷺ إلى رسم قبرٍ فجلس ، وجلس الناس حوله ، فجعل يحرك رأسه كالمخاطب ، ثم بكى ، فاستقبله عمر ، فقال : ما يبكيك يا رسول الله؟ قال :

«هذا قبر آمنة بنت وهب ، استأذنت ربي في أن أزور قبرها فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فأبى عليَّ ، وأدركتني رقتها فبكيت»[2] .

قال : فما رأيت ساعة أكثر باكياً من تلك الساعة .

ورواه البيهقي من طريق أخرى نحوه .

وهو والحاكم من حديث عبدالله بن مسعود .

---

(١) قلت : وفي رواية لأحمد وابن أبي شيبة : «فدمعت عيناي رحمة لها من النار» . انظر : «أحكام الجنائز» (١٨٨) .

(٢) قلت : وهو حديث صحيح بمجموع طريقيه ، وله أسانيد أخرى أحدها صحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي ، وهو مخرج في «أحكام الجنائز» (ص١٨٨) .

وروى مسلم عن أبي هريرة قال :

زار النبي ﷺ قبر أمه ، فبكى وأبكى من حوله ، ثم قال :

«استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي ، فزوروا القبور تذكركم الموت»[1] .

وروى مسلم أيضاً عن أنس :

أن رجلاً قال : يا رسول الله ! أين أبي؟ قال : «في النار» . فلما قفّى دعاه ، فقال :

«إن أبي وأباك في النار»[2] .

---

(١) ورواه أحمد وغيره ، وهو مخرج في المصدر السابق .

(٢) مسلم (١/١٣٢ - ١٣٣) ، وله شواهد ؛ منها حديث سعد بن أبي وقاص الآتي بعده .

واعلم أن هذا الحديث مع صحة إسناده ، وكثرة شواهده ، وتلقي العلماء النقاد بالقبول له ؛ فإن الشيخ (أبو زهرة) قد رده بجرأة وجهالة متناهية ؛ فقال (١/١٣٢) :

«إنه خبر غريب في معناه ، كما هو غريب في سنده ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء : ١٥] ، وقد كان أبو محمد عليه الصلاة والسلام وأمه على فترة من الرسل ؛ فكيف يعذبون؟!! . . . وفي الحق إني ضرست في سمعي وفهمي عندما تصورت أن عبدالله وآمنة يتصور أن يدخلا النار» !

فأقول : يا سبحان الله ! هل هذا موقف من يؤمن برسول الله أولاً ، ثم بالعلماء الصادقين المخلصين ثانياً ؛ الذين رووا لنا أحاديثه ﷺ وحفظوها لنا ، وميزوا ما صح مما لم يصح منها ، واتفقوا على أن هذا الحديث من الصحيح الثابت عنه ﷺ ؟! أليس موقف (أبو زهرة) هذا هو سبيل أهل الأهواء - كالمعتزلة وغيرهم - الذين قالوا بالتحسين والتقبيح العقليين ؛ مما رده عليهم أهل =

وقد روى البيهقي عن عامر بن سعد عن أبيه قال :

= السنة؟! والشيخ يزعم أنه منهم ؛ فما باله خالفهم ، وسلك سبيل المعتزلة في تحكيم العقل ، وردهم للأحاديث الصحيحة لمجرد مخالفتها لأهوائهم ؛ إما أصلاً ؛ وإما تأويلاً إذا لم يستطيعوا رده من أصله؟! وهذا عين ما فعله الشيخ ؛ فإنه رد هذا الحديث لظنه أنه حديث غريب فرد - كما رأيت - وتأول أحاديث الزيارة بقوله :

«ولعل نهي النبي ﷺ عن الاستغفار [لأمه] ؛ لأن الاستغفار لا موضع له ، إذ أنه لم يكن خطاب بالتكليف من نبي مبعوث» !

ونحن نقول له - كما تعلمنا من بعض السلف - : اجعل (لعل) عند ذاك الكوكب ! فإن أحاديث الزيارة تدل دلالة قاطعة على أن بكاءه ﷺ إنما كان شفقة عليها من النار ، وهذا صريح في بعض طرق حديث بريدة ؛ كما سبق ذكره مني في التعليق عليه قريباً . ولذلك علق الإمام النووي على حديث أبي هريرة منها بقوله في «شرح مسلم» :

«فيه جواز زيارة المشركين في الحياة ، وقبورهم بعد الوفاة ؛ لأنه إذا جازت زيارتهم بعد الوفاة ففي الحياة أولى . وفيه النهي عن الاستغفار للكفار» .

وقال في شرح حديث أنس هذا :

«فيه أن من مات على الكفر فهو في النار ، ولا تنفعه قرابة المقربين . وفيه أن من مات على الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار ، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة ، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم» .

قلت : وفي كلام الإمام النووي رد صريح على زعم (أبو زهرة) أن أهل الفترة الذين كانوا قبل بعثة النبي ﷺ لا يعذبون ! ومع أن قوله هذا مجرد دعوى ؛ لأنه لا يلزم من صحة القاعدة - وهي هنا أن من لم تبلغه الدعوة لا يعذب - أن الشخص الفلاني أو الأمة الفلانية لم تبلغهم الدعوة ، بل هذا لا بد له من دليل كما هو ظاهر ، وهذا مما لم يعرج عليه (أبو زهرة) مطلقاً ، وحينئذٍ يتبين للقارئ الكريم كم قد تجنى على العلم حين رد حديث أنس ، وتأول أحاديث الزيارة بما يفسد دلالتها بمجرد هذه الدعوى الباطلة؟! =

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : إن أبي كان يصل وكان ، فأين هو؟

وإن مما يؤكد لك بطلانها مخالفتها لأحاديث كثيرة جداً يدل مجموعها على أن الصواب على خلافها ، وأرى أنه لا بد هنا من أن أذكر بعضها :

١ - قوله ﷺ : «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ؛ كان أول من سيب السوائب» . رواه الشيخان .

وفي رواية : «كان أول من غير دين إسماعيل» .

٢ - سألوه ﷺ عن عبدالله بن جدعان ؛ فقالوا : كان يقري الضيف ، ويعتق ، ويتصدق ؛ فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال :

«لا ؛ إنه لم يقل يوماً : رب ! اغفر لي خطيئتي يوم الدين» .

رواه مسلم .

٣ - أنه ﷺ مر بنخل فسمع صوتاً (يعني : من قبر) ، فقال : «ما هذا؟» . قالوا : قبر رجل دفن في الجاهلية . فقال ﷺ :

«لولا أن لا تدافنوا ؛ لدعوت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعني» .

رواه أحمد من طرق عن أنس ، وعن جابر ، وله شاهد من حديث زيد بن ثابت عند مسلم وأحمد ، وهو مخرج في «الصحيحة» (١٥٨ و١٥٩) .

٤ - حديث رؤيته ﷺ في صلاة الكسوف صاحب المحجن يجر قصبه في النار ؛ لأنه كان يسرق الحاج بمحجنه .

رواه مسلم وغيره ، وهو مخرج في «الإرواء» (٦٥٦) .

وفي الباب أحاديث أخرى خرجها الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١١٦ - ١١٩) ؛ فليراجعها من شاء ، وهي بمجموعها تدل دلالة قاطعة على أن المشركين في الجاهلية من أهل النار ، فهم ليسوا من أهل الفترة ، فسقط استدلال (أبو زهرة) بالآية جملة وتفصيلاً .

وأما قوله في حديث أنس المتقدم أعلاه :

« . . كما هو غريب في سنده» ! =

قال : «في النار» .

قال : فكأن الأعرابي وجد من ذلك ، فقال : يا رسول الله ! أين أبوك؟ قال : «حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار» .

قال : فأسلم الأعرابي بعد ذلك فقال : لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً ؛ ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار[1] .

والمقصود أن عبدالمطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية ؛ خلافاً لفرقة الشيعة فيه ، وفي ابنه أبي طالب ؛ على ما سيأتي في (وفاة أبي طالب)[2] .

= فأقول : وهذه دعوى باطلة كسابقتها ، فالحديث صحيح لا غرابة فيه ، وحسبك دليلاً أنه أخرج في «الصحيح» ، وإن أراد بذلك أنه غريب بمعنى أنه تفرد به واحد ؛ فذلك مما لا يضره ؛ لأن كل رواته ثقات أثبات ؛ على أن له شواهد تزيده قوة على قوة كما تقدم . وأنا حين أقول هذا أعلم أن السيوطي تورط أيضاً وغلبه الهوى ؛ فأعل الحديث بتفرد حماد بن سلمة به - إلى درجة أنه لم يورده في «الجامع الصغير» ولا في «ذيله عليه» - وهو من أئمة المسلمين وحفاظهم ، وكنت أود أن أطيل النفس أيضاً في الرد عليه ، ولكن طال الكلام ، فحسبنا منه ما تقدم ، والله ولي التوفيق .

(١) قلت : وأخرجه الطبراني والضياء المقدسي في «المختارة» ، وسنده صحيح ؛ كما بينته في «الصحيحة» (١٨) ، وقد استفدت من رواية البيهقي هذه متابعة ثالثة من أبي نعيم الفضل بن دكين كانت فاتتني ، فلتنقل إلى هناك .

(٢) ساق المؤلف قبيل هذا حديث خروج فاطمة رضي الله عنها للتعزية ، وقوله لها : «لعلك بلغت معهم الكدى؟! لو بلغتيها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك» .

ولما لم يكن على شرطنا أعرضت عن ذكره ؛ لا سيما وفي متنه نكارة ظاهرة ، وقد تكلم عليه المؤلف بما يكفي من حيث ضعف إسناده .

وروى ابن إسحاق هنا (١٧٨/١) : حدثني العباس بن عبدالله بن معبد عن بعض أهله : أن عبدالمطلب توفي ورسول الله ابن ثماني سنين .

وقد قال البيهقي بعد روايته هذه الأحاديث في كتابه «دلائل النبوة» :

«وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ولم يدينوا بدين عيسى ابن مريم عليه السلام ، وكفرهم لا يقدح في نسبه عليه الصلاة والسلام[1] ؛ لأن أنكحة الكفار صحيحة ، ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم ؛ فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهن ، إذ كان مثله يجوز في الإسلام . وبالله التوفيق» .

قلت : وإخباره ﷺ عن أبويه وجده عبدالمطلب بأنهم من أهل النار ؛ لا ينافي الحديث الوارد من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة ؛ كما بسطناه سنداً ومتناً في «تفسيرنا» عند قوله تعالى : ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ [الإسراء : ١٥] . فيكون منهم من يجيب ، ومنهم من لا يجيب ، فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب ، فلا منافاة[2] ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) قلت : كما لا يقدح فيه أنه ينتهي إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقد كان أبوه مشركاً بنص القرآن : ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين**﴾ [الأنعام : ٧٤] ، ولذلك تبرأ منه ، كما قال تعالى : ﴿**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم**﴾ [التوبة : ١١٣ و١١٤] .

(٢) قلت : وهذا جمع جيد جداً ؛ لأنه وإن كان من الممكن افتراض أن بعض من كان في الجاهلية قد بلغته الدعوة ، وأقيمت عليه الحجة ـ على ما جرينا عليه في تعليقنا السابق ، وعليه يدل كلام البيهقي الذي نقله المؤلف ـ فإن من الممكن أيضاً أن نفترض أن بعضهم لم تبلغه الدعوة ، وحينئذٍ فأمامه الامتحان في عرصات القيامة ، فمن نجح فقد نجا ، وإلا فقد هلك ، وعلى هذا النوع من الهالكين تحمل الأحاديث التي صرحت بعذاب بعض من مات في الجاهلية كما تقدم . والله أعلم .

خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بَحيرى الراهب

روى الحافظ أبو بكر الخرائطي من طريق يونس بن أبي إسحاق[1] عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال :

خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب - يعني : بَحيرى - هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم . قال :

فنزل وهم يحلون رحالهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ ، فقال : هذا سيد العالمين (وفي رواية البيهقي زيادة : هذا رسول رب العالمين ؛ يبعثه الله[2] رحمة للعالمين) .

فقال له أشياخ من قريش : وما علمك؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ، ولا يسجدون إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه .

ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به - وكان هو في رعية الإبل - فقال :

---

(١) الأصل : «يونس عن ابن إسحاق» ، وعلى هامشه : «الأصل : أبي ، وهو تحريف» . وأقول : كل ذلك خطأ ، والصواب ما أثبتنا ، ولا علاقة لابن إسحاق بهذا الإسناد ، فإنه ذكر القصة في «السيرة» بسياق آخر ، وبدون إسناد ! ويونس بن أبي إسحاق هذا - هو السبيعي - ثقة من رجال مسلم .

(٢) الأصل : «بعثه» ، والتصويب من «مستدرك الحاكم» (٢/٦١٥) وغيره .

أرسلوا إليه . فأقبل وغمامة تظله ، فلما دنا من القوم قال : انظروا إليه عليه غمامة ! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ، قال : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه .

قال : فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه ، فالتفت ، فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا ، قال : فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم؟ قالوا : جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس ، وإنا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه . قال : فهل خَلْفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا : لا ؛ إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه . قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه ؛ هل يستطيع أحد من الناس رده؟ فقالوا : لا . قال : فبايعوه وأقاموا معه عنده ، قال :

فقال الراهب : أنشدكم الله أيكم وليه؟ قالوا : أبو طالب .

فلم يزل يناشده حتى رده ، وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وزوده الراهب من الكعك والزيت .

وهكذا رواه الترمذي والحاكم والبيهقي وابن عساكر وغير واحد من الحفاظ ، وقال الترمذي :

«حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» .

قلت : فيه من الغرائب أنه من مرسلات الصحابة ؛ فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة ، فهو مرسل ، فإن هذه القصة كانت

ولرسول الله ﷺ من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي ﷺ فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة[1] .

[المستدرك]

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال :

«ما زالت قريش كاعَّةً[2] حتى توفي أبو طالب»

أخرجه الحاكم (٦٢٢/٢) وقال : «صحيح على شرط الشيخين» .

قلت : فيه عقبة المُجَدَّر ، ولم يخرج له الشيخان ، وهو صدوق ، فالإسناد جيد . وسيذكره المؤلف رحمه الله بلفظ آخر من رواية ابن إسحاق في (وفاة أبي طالب) مع روايات أخرى تناسب هذا الفصل . [انتهى المستدرك] .

---

(١) قلت : ولمثل هذه الاحتمالات تقرير في مصطلح علم الحديث : أن مراسيل الصحابة حجة ، وإعلال الحديث بأن فيه ذكر أبي بكر وبلال ؛ وكان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشر ؛ إنما هي دعوى مبنية على أن عمره ﷺ يومئذ ثنتا عشرة سنة ، وهذا غير محفوظ ؛ فإنه إنما ذكره مقيداً بهذا الواقدي كما قال المؤلف ، والواقدي متروك متهم ، فمن الممكن أن تكون القصة وقعت بعد ذلك بسنين ، فلا يجوز إعلالها بمثل قول الواقدي المنكر . وقد بسطت القول في تصحيح الحديث والجواب عما أُعِلَّ به في «الرد على الدكتور البوطي» (ص٦٢ - ٧٢) ، وذكرت سبعة من الحفاظ سبقوني إلى تصحيحه ، فراجعه .

(٢) [أي : جبناء] . الناشر .

فصل

في منشئه عليه الصلاة والسلام ومرباه وكفاية الله له وحياطته وكيف كان يتيماً فآواه وعائلاً فأغناه

قال جابر بن عبدالله :

لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة ، فقال العباس لرسول الله ﷺ : اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة . ففعل ، فخرَّ إلى الأرض ، وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : «إزاري» . فشد عليه إزاره .

أخرجاه في «الصحيحين»[1] .

وروى البيهقي عن زيد بن حارثة قال :

كان صنم من نحاس ـ يقال له : (إساف) و(نائلة) ـ يتمسح به المشركون إذا طافوا ، فطاف رسول الله ﷺ وطفت معه ، فلما مررت مسحت به ، فقال رسول الله ﷺ : «لا تمسه» . قال زيد : فطفنا ، فقلت في نفسي : لأمسنه حتى أنظر ما يكون . فمسحته ، فقال رسول الله ﷺ : «ألم تُنْهَ؟!» . زاد غيره : قال زيد : فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ؛ ما استلم صنماً قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه[2] .

(١) انظر «تخريج فقه السيرة للغزالي» (ص٨٣) .

(٢) قلت : وإسناده حسن ، ورواه الطبراني (٤٦٦٥) .

وثبت في الحديث أنه كان لا يقف بالمزدلفة ليلة عرفة ؛ بل كان يقف[1] مع الناس بـ (عرفات) ؛ كما قال محمد بن إسحاق . . . عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال :

لقد رأيت رسول الله ﷺ وهو على دين قومه[2] ، وهو يقف على بعير له بـ(عرفات) من بين قومه ، حتى يدفع معهم ؛ توفيقاً من الله عز وجل له .

قال البيهقي : معنى قوله : «على دين قومه» : ما كان بقي من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ولم يشرك بالله قط ؛ صلوات الله وسلامه عليه دائماً أبداً .

قلت : ويفهم من قوله هذا أيضاً أنه كان يقف بـ (عرفات) قبل أن يوحى إليه ، وهذا توفيق من الله له .

ورواه الإمام أحمد والطبراني (١٥٧٧) عن محمد بن إسحاق ، ولفظه :

رأيت رسول الله ﷺ ـ قبل أن ينزل عليه ـ وإنه لواقف على بعير له مع الناس

---

(١) الأصل : «لا يقف» ، وهو خطأ ، وهو في «البداية» على الصواب .

(٢) كذا وقع هنا ، والذي في «السيرة» (٢١٦/١) : «قبل أن ينزل عليه الوحي» . وهو الموافق لرواية أحمد الآتية أعلاه ، وأخرجه الحاكم (٤٦٤/١) بنحوه بلفظ أتم : قال جبير بن مطعم :

كانت قريش إنما تدفع من (المزدلفة) ويقولون : نحن (الحمس) ؛ فلا نخرج من الحرم . وقد تركوا الموقف على عرفة . قال : فرأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية يقف مع الناس بعرفة على جمل له ، ثم يصبح مع قومه بالمزدلفة ، فيقف معهم ، يدفع إذا دفعوا . وقال الحاكم :

«صحيح على شرط مسلم» ! ووافقه الذهبي ، وله في «المجمع» (٢٥١/٣) شاهد .

بـ(عرفات) حتى يدفع معهم ؛ توفيقاً من الله .

وله شاهد من حديث ربيعة بن عِبَاد رواه الطبراني (٤٥٩٢) .

ورواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن جبير بن مطعم قال :

أضللت بعيراً لي بـ(عرنة) ، فذهبت أطلبه ، فإذا النبي ﷺ واقف ، فقلت : إن هذا من (الحمس) ؛ ما شأنه ها هنا؟! .

وأخرجاه .

[المستدرك]

وعن سالم بن عبدالله أنه سمع ابن عمر يحدث عن رسول الله ﷺ :

أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل (بلدح)[1] ، وذلك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي ، فقدم إليه رسول الله ﷺ سفرة فيها لحم ، فأبى أن يأكل منه وقال : إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه .

أخرجه أحمد (٢/٨٩) ، وإسناده صحيح على شرط الشيخين ، وانظر : «السيرة » للذهبي (ص٤٤) .

وله شاهد من حديث سعيد بن زيد أتم منه .

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٥٠) ، وعنه الذهبي (ص٤٦) .

وفي رواية : عن زيد بن حارثة عند الطبراني (٤٦٦٣ و٤٦٦٤) ، والحاكم (٣/٢١٦ ـ ٢١٧) ، وانظر : «مجمع الزوائد» (٩/٤١٨) . [انتهى المستدرك] .

---

(١) [(بَلْدَح) : وادٍ قِبَلَ (مكة) ، أو جبل بطريق (جُدَّة)] . الناشر .

شهوده عليه الصلاة والسلام حلف الفضول

روى الحافظ البيهقي بسنده عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ :

«شهدت[1] مع عمومتي حلف المطَيَّبين ، فما أحب أن أنكُثَه - أو كلمة نحوها - وأن لي حُمْرَ النَّعَم»[2] .

ثم روى البيهقي عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

«ما شهدت حِلفاً لقريش إلا حلف المطيَّبين ، وما أحب أن لي حُمْرَ النَّعَم وأني كنت نقضته»[3] .

قال : و(المُطَيَّبُونَ) : هاشم ، وأمية ، وزُهْرة ، ومخزوم .

قال البيهقي : كذا روي هذا التفسير مدرجاً في الحديث ، ولا أدري قائله . وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول ؛ فإن النبي ﷺ لم يدرك حلف المطيَّبين .

قلت : هذا لا شك فيه ، وذلك أن قريشاً تحالفوا بعد موت قصي ، وتنازعوا في الذي كان جعله قصي لابنه عبد الدار من السقاية ، والرفادة ، واللواء ،

---

(١) زاد في رواية : «غلاماً» .

(٢) إسناده حسن ، ويتقوى بالذي بعده ، وله شواهد أخرى ، وهو مخرج في «الصحيحة» (١٩٠٠) .

(٣) قلت : ورواه ابن حبان أيضاً ، ورواه غيره عن عبدالرحمن بن عوف ، وهما مخرجان في المصدر السابق .

والندوة ، والحجابة ، ونازعهم فيه بنو عبدمناف ، وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش ، وتحالفوا على النصرة لحزبهم ، فأحضر أصحاب بني عبدمناف جفنة فيها طيب ، فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا ، فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت ، فسموا المطيَّبين ؛ كما تقدم ، وكان هذا قديماً .

ولكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول ، وكان في دار عبدالله بن جدعان ؛ كما رواه الحميدي وابن إسحاق[1] .

وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمع به وأشرفه في العرب[2] .

روى ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي :

أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ والوليد يومئذٍ أمير المدينة ، أمَّره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان ـ منازعة في مال كان بينهما بـ (ذي المروة)[3] ، فكأن الوليد تحامل على الحسين في حقه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذن سيفي ، ثم لأقومن في مسجد رسول الله ﷺ ، ثم لأدعون بحلف الفضول . قال : فقال عبدالله بن الزبير ـ وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال ـ : وأنا

---

(١) السيرة (١/١٤١ - ١٤٢) .

(٢) قلت : ويشير إلى ذلك قوله ﷺ المتقدم : « . . فما أحب أن أنكثه وأن لي حمر النعم» . وكانوا تعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ؛ كما قال ابن إسحاق في «السيرة» (١/١٤١) .

(٣) قرية بـ (وادي القرى) .

أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ، ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً . قال :

وبلغت المِسور بن مخرمة بن نوفل الزهري ، فقال مثل ذلك .

وبلغت عبدالرحمن بن عثمان بن عبيدالله التيمي ، فقال مثل ذلك .

فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي[1] .

---

(١) قلت : والسند جيد .

فصل

في تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة بنت خويلد ابن أسد بن عبدالعزى بن قصي

قال البيهقي : «باب ما كان يشتغل به رسول الله ﷺ قبل أن يتزوج خديجة» .

ثم روى بإسناده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

«ما بعث الله نبياً إلا راعي غنم» . فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله؟ قال :

«وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط» .

ورواه البخاري[1] .

[المستدرك]

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة ، وإني لم أدركها . قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول : «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» . قالت : فأغضبته يوماً فقلت : خديجة؟ فقال : «إني رزقت حبها» .

رواه مسلم (١٣٤/٧)[2] . [انتهى المستدرك]

---

(١) انظر : «تخريج فقه السيرة» (٧٠) ، و«غاية المرام في تخريج الحلال والحرام» (١٦١) ، ورواه ابن سعد (١٢٥/١) .

(٢) ورواه البخاري بلفظ آخر ليس فيه ذكر الحب ، وسيذكره المؤلف في (وفاة خديجة) .

فصل

في تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين

قال الله تعالى : ﴿إن أول بيت وضع للناس لَلَّذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ [آل عمران : ٩٦ و٩٧] .

وثبت في «الصحيحين» عن أبي ذر قال :

قلت : يا رسول الله ! أي مسجد وضع أول؟ قال : «المسجد الحرام» . قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : «المسجد الأقصى» . قلت : كم بينهما؟ قال : «أربعون سنة» .

وقد تكلمنا على هذا[١] وأن المسجد الأقصى أسسه إسرائيل ، وهو يعقوب عليه السلام .

وفي «الصحيحين» : «إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السماوات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة»[٢] .

وفي «صحيح البخاري» من حديث ابن عباس قال :

---

(١) يعني : في (الجزء الأول) من «البداية» (١٦٢/١) ، وقد خرجته في «فقه السيرة للغزالي» (ص٨٢) .

(٢) هو قطعة من حديث ابن عباس في خطبة النبي ﷺ يوم افتتح مكة . انظر : «مختصر البخاري» (٨٨٧) .

«أول ما اتخذ النساء المِنْطَقَ[1] من قِبَلِ أم إسماعيل[2] ، اتخذت مِنطَقاً لِتُعَفِّيَ أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت ؛ عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاءً فيه ماء . ثم قَفَّى إبراهيم مُنْطلِقاً ، فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟! فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها . فقالت له : آلله الذي أمرك بهذا؟ قال : نعم . قالت : إذاً لا يضيعنا . ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم ، حتى إذا كان عند الثَّنِيَّة حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه ؛ فقال : ﴿**ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**﴾ [إبراهيم : ٣٧] ، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نَفِدَ ما في السقاء عَطِشَتْ وعَطِشَ ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوَّى[3] ـ أو قال : يَتَلَبَّطُ ـ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر ؛ هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طَرَفَ

---

(١) [وهو النِّطاق ، وفي «القاموس» : «شُقَّةٌ تلبسها المرأة ، وتَشُدُّ وسطها ، فترسلُ الأعلى على الأسفل إلى الأرض ، والأسفل يَنْجَرُّ على الأرض»] . الناشر .

(٢) وهي هاجر أم ولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

(٣) الأصل : «يلتوي» ، والتصحيح من «البخاري» .

دِرْعِها[1] ثم سعت سعي الإنسان المجهود ، حتى جاوزت[2] الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت ؛ هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس : قال النبي ﷺ :

«فلذلك سَعَى الناسُ بينهما»[3] .

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً ؛ فقالت : صه ! - تريد : نفسها - ثم تسمَّعت ، فسمعت أيضاً ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غُوَاثٌ . فإذا هي بالمَلَك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه - أو قال : بجناحه - حتى ظهر الماء ، فجعلت تَحَوضه[4] وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعدما تغرف . قال ابن عباس : قال النبي ﷺ :

«يرحم الله أم إسماعيل ! لو تركت زمزم - أو قال : لو لم تَغرِفْ من الماء - لكانت زمزم عيناً معيناً» .

[قال] : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضَّيْعة[5] ؛ فإن ها هنا بيتَ الله ؛ يبني هذا الغلام وأبوه ، فإن الله لا يُضيِّعُ أهله .

---

(١) الأصل : «ذراعها» .

(٢) الأصل : «حتى إذا جاورت» .

(٣) كذا الأصل ، وفي «البخاري» : «فذلك سَعْيُ الناسِ بينهما» .

(٤) الأصل «تخوضه» ، وهو خطأ يدل عليه ما بعده ، وفي الأصل أخطاء أخرى صححتها أيضاً من «البخاري» ، وتركت التنبيه عليها لكثرتها !

(٥) أي : الهلاك .

وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية ؛ تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله .

فكانت كذلك حتى مرت بهم رُفقة من جُرهُم ـ أو : أهل بيت من جرهم ـ مقبلين من طريق (كَدَاء) ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائراً عائفاً ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ! لَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء ! فأرسلوا جَرِيّاً[1] أو جرِيَّين ، فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا ـ قال : وأم إسماعيل عند الماء ـ فقالوا : أَتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت : نعم ؛ ولكن لا حَقَّ لكم في الماء . قالوا : نعم . قال عبدالله بن عباس : قال النبي ﷺ :

«فَأَلْفَى ذلك أمَّ إسماعيل وهي تحب الإنس» .

فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعجبهم حين شبَّ ؛ فلما أدرك زوجوه أمرأةً منهم ، وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يُطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته [عنه] ، فقالت : خرج يبتغي لنا[2] . ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم؟ فقالت : نحن بِشَرٍّ ، نحن في ضيق وشدة . فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له : يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بابِهِ . فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً ، فقال : هل جاءكم من أحد؟ قالت : نعم ؛ جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألَنا عنك فأخبرته ، وسألني :

---

(١) أي : رسولاً .

(٢) أي : يطلب لنا الرزق .

كيف عيشنا؟ فأخبرته أنّا في جَهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشيء؟ قالت : نعم ؛ أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقولُ لك : غَيِّرْ عَتَبَةَ بابِك . قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الْحَقِي بأهلك . فطلقها وتزوج منهم أخرى .

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه؟ فقالت : خرج يبتغي لنا . قال : كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم؟ فقالت : نحن بخير وسعة . وأثنت على الله عز وجل ، فقال : ما طعامكم؟ قالت : اللحم . قال : فما شرابكم؟ قالت : الماء . قال : اللهم ! بارك لهم في اللحم والماء . قال النبي ﷺ :

«ولم يكن لهم يومئذٍ حَبٌّ ، ولو كان لهم حب دَعَا لهم فيه» . [قال :] فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه[1] . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد؟ قالت : نعم ؛ أتانا شيخ حسن الهيئة ـ وأثنت عليه ـ فسألني عنك ، فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنّا بخير ، قال : فأوصاك بشيء؟ قالت : نعم ؛ هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تُثْبِتَ عتبة بابك . قال : ذاك أبي وأنتِ العَتَبَةُ ؛ أمرني أن أمسكك .

ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يَبْري نَبْلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالِدُ بالولَدِ والوَلدُ بالوالدِ ، ثم قال : يا إسماعيل ! إن الله أمرني بأمر . قال : فاصنع ما أمرك ربك .

---

(١) وفي حديث آخر : «إلا اشتكى بطنه» .

قال : وتعينني؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً . وأشار إلى أكَمَة مرتفعة على ما حولها . قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء ؛ جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾ [البقرة : ١٢٧] ، قال : فجعلا يبنيان ، حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾»[١] .

وروى أبو داود الطيالسي عن علي رضي الله عنه قال :

لما انهدم البيت بعد جرهم بَنَتْهُ قريش ، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا ؛ من يضعه؟ فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب . فدخل رسول الله ﷺ من باب بني شيبة ، فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه ، وأمر كل فخذ أن

(١) اعلم أيها القارئ الكريم ! أن هذا الحديث لم يكن عند المؤلف هنا ، وإنما أشار إلى أنه ذكره في قصة إبراهيم المتقدمة عنده (١/١٥٤ - ١٥٥) .

فرأيت أن أنقله إلى هنا لتتم الفائدة .

ثم إن ظاهر قوله في ما تقدم : «وكان البيت مرتفعاً . . .» أنه كان مبنياً قبل إبراهيم عليه السلام ، وقد ذكر الحافظ آثاراً تؤيد ذلك ، وأشار إليها المؤلف هنا ، وفي ترجمة إبراهيم وإسماعيل من «البداية» (١/١٦٣) ، وقال : «إنها من الإسرائيليات» ، وزاد هنا :

«ولا يصح ؛ فإن ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بناه مبتدئاً وأول من أسسه ، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك معتنى بها مشرفة في سائر الأعصار والأوقات» .

وأقول : أما البناء فمسلَّم ؛ لكن ذلك لا ينافي أن يقام على قواعد كانت قبل ذلك ؛ بل هذا مما جاء صريحاً في رواية لأحمد : «القواعد التي رفعها إبراهيم كانت قبل ذلك» .

يأخذوا بطائفة من الثوب ، فرفعوه ، وأخذه رسول الله ﷺ فوضعه[1] .

وروى أحمد عن مجاهد عن مولاه ـ وهو السائب بن عبدالله ـ أنه حدثه :

أنه كان فيمن بنى الكعبة في الجاهلية ، قال : وكان لي حَجَر أنا نحتُّه [بيدي] أعبده من دون الله ، قال : وكنت أجيء باللَّبَن الخاثر الذي أنفسه[2] على نفسي ، فأصبه عليه ، فيجيء الكلب فيلحسه ، ثم يشغر فيبول عليه ! قال :

فبنينا حتى بلغنا موضع الحَجَر ، ولا يرى الحَجَر أحد ، فإذا هو وسط أحجارنا مثل رأس الرجل ، يكاد يتراءى منه وجه الرجل . فقال بطن من قريش : نحن نضعه . وقال آخرون : نحن نضعه . فقالوا : اجعلوا بينكم حكماً . فقالوا : أول رجل يطلع من الفجّ ، فجاء رسول الله ﷺ ، فقالوا : أتاكم الأمين . فقالوا له ، فوضعه في ثوب ، ثم دعا بطونهم ، فرفعوا نواحيه [معه] ، فوضعه هو ﷺ[3] .

قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الحِجْر ـ وهو ستة أذرع ، أو سبعة أذرع من ناحية الشام ـ قصرت بهم النفقة ـ أي : لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم ـ وجعلوا للكعبة باباً واحداً من ناحية المشرق ، وجعلوه مرتفعاً لئلا يدخل إليها كل أحد ، فيدخلوا من شاؤوا ، ويمنعوا من شاؤوا .

---

(١) قلت : وإسناده حسن بما بعده على الأقل ، وهو في «مسند الطيالسي» (٨٦/٢ - ترتيب البنا) ، وأخرجه الحاكم (٤٥٨/١ - ٤٥٩) ، وصححه على شرط مسلم ! ووافقه الذهبي !

(٢) الأصل : «آنفه» ، والتصويب من «المسند» و«المجمع» (٢٩١/٣) .

(٣) قلت : وإسناده حسن ؛ للخلاف في هلال بن خباب : ووقع في الأصل : «حبان» ، وهو تصحيف ، وقال الهيثمي : «وهو ثقة ، وفيه كلام ، وبقية رجاله (رجال الصحيح)» . وانظر : «تخريج فقه السيرة» (ص٨٤) .

وقد ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها :

«ألم تَرَيْ أن قومكِ قصرت بهم النفقة؟ ولولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة ، وجعلت لها باباً شرقيّاً وباباً غربيّاً ، وأدخلت فيها الحِجْر» .

ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناها على ما أشار إليه رسول الله ﷺ ، وجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء ، كاملة على قواعد الخليل ، لها بابان ملتصقان بالأرض شرقاً وغرباً ، يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر .

فلما قَتل الحجاج ابن الزبير ؛ كتب إلى عبدالملك بن مروان - وهو الخليفة يومئذٍ - فيما صنعه ابن الزبير - واعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه - فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه . . . فهي إلى الآن كذلك[1] .

---

(١) قلت : هذا الكلام والذي قبل حديث عائشة كله في بعض الطرق عنها ، وقد كنت جمعت فوائدها وضممتها إلى حديثها ، وسقته مساقاً واحداً في حديثها ، وخرجتها من طريق «الصحيحين» وغيرهما قريب من عشرة من أصحاب «السنن» وغيرهم في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ٤٣) ؛ إلا قوله : «واعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه» ، فالظاهر أنه من رأي المؤلف لا من روايته ، ولعل الأقرب أن يقول : «واعتقد» ؛ أي : عبدالملك ، فإن الحجاج قد ثبت عنه خلافه ، فقد جاء في رواية لمسلم وأبي نعيم :

«فلما قتل ابن الزبير ؛ كتب الحجاج إلى عبدالملك بن مروان يخبره بذلك ، ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أسٍّ نظر إليه العدول من أهل مكة . فكتب إليه عبدالملك : إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء ، أما ما زاد في طوله فأقره ، وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه ، وسد الباب الذي فتحه . فنقضه ، وأعاده إلى بنائه» .

وقد ذكرنا قصة بناء البيت والأحاديث الواردة في ذلك في تفسير (سورة البقرة) عند قوله : ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل**﴾ [البقرة : ١٢٧] . وذكرنا ذلك مطولاً مستقصى ، فمن شاء كتبه ها هنا . ولله الحمد والمنة .

فصــل

وذكر ابن إسحاق ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم الحُمْس[1] ، وهـو : الشدة في الدين والصلابة .

وذلك لأنهم عظَّموا الحرم تعظيماً زائداً ؛ بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عرفة ، وكانوا يقولون : نحن أبناء الحرم ، وقطّان بيت الله . فكانوا لا يقفون بعرفات ـ مع علمهم أنها من مشاعر إبراهيم عليه السلام ـ حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرروه من البدعة الفاسدة ، وكانوا يمنعون الحجيج والعمَّار ـ ما داموا محرمين ـ أن يأكلوا إلا من طعام قريش ، ولا يطوفوا إلا في ثياب قريش ، فإن لم يجد أحد منهم ثوب أحد من الحُمْس ؛ طاف عرياناً ولو كانت امرأة ، ولهذا كانت المرأة إذا اتفق طوافها لذلك ؛ وضعت يدها على فرجها وتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

قال ابن إسحاق : فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً ﷺ ، وأنزل عليه القرآن ردّاً عليهم فيما ابتدعوه ، فقال : **﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾** ؛ أي : جمهور العرب من عرفات ، **﴿واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾** [البقرة : ١٩٩] .

وقد قدمنا[2] : أن رسول الله ﷺ كان يقف بعرفات قبل أن ينزل عليه ؛ توفيقاً من الله له .

---

(١) بالحاء المهملة ، ووقع في «كتاب أبو زهرة» (١٧٥) بالخاء المعجمة في مواطن !

(٢) (ص ٣٣) .

وأنزل الله عليه رداً عليهم فيما كانوا حرموا من اللباس والطعام على الناس : **﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾** الآية [الأعراف : ٣١ و٣٢] .

[المستدرك]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة ، فتقول : من يعيرني تِطوافاً؟ تجعله على فرجها ، وتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله　　　　فما بدا منه فلا أُحِلُّه

فنزلت هذه الآية : **﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾** [الأعراف : ٣١] .

رواه مسلم (٨/٢٤٣ ـ ٢٤٤) .

وقال عروة :

كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحُمْس ـ والحُمْس : قريش وما ولدت ـ وكانت الحمس يحتسبون على الناس ؛ يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها ، وتعطي المرأةُ المرأةَ الثياب تطوف فيها ، فمن لم تعطه الحمس طاف بالبيت عرياناً .

وكان يفيض جماعة الناس من (عرفات) ، وتفيض الحمس من (جَمْع) .

وعن عائشة رضي الله عنها :

أن هذه الآية نزلت في الحمس (وفي رواية : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بـ(المزدلفة) ، وكانوا يسمون الحُمْس ، وكان سائر العرب يقفون بـ(عرفات) ، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي (عرفات) ثم يقف بها ، ثم يفيض منها ، فذلك قوله تعالى) : ﴿**ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس**﴾[البقرة : ١٩٩] ، قال : كانوا يفيضون من (جَمْع) ، فدُفعوا إلى (عرفات) .

رواه البخاري بهذا التمام (٨١٨ ـ مختصره) ، ومسلم (٤٣/٤) بحديث عائشة . [انتهى المستدرك] .

كتاب مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلَّمَ تسليماً كثيراً وذكر شيء من البشارات بذلك

قال محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى :

وكانت الأحبار من اليهود ، والرهبان من النصارى ، والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب زمانه .

أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى ؛ فمما وجدوا في كتبهم من صفته ، وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه ، قال الله تعالى :

﴿الذين يتَّبعون الرسول النبيَّ الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرَهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وقال الله تعالى :

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركَّعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين

آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ [الفتح: ٢٩] .

وقال الله تعالى :

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ [آل عمران: ٨١] .

وفي «صحيح البخاري»[1] عن ابن عباس قال :

«ما بعث الله نبيّاً إلا أخذ عليه الميثاق : لئن بُعِثَ محمدٌ وهو حي لَيُؤْمِنَنَّ به ولَيَنْصُرَنَّهُ ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق : لئن بُعثَ محمدٌ وهم أحياء لَيُؤْمِنُنَّ به ولَيَنْصُرُنَّهُ» .

يعلم من هذا أن جميع الأنبياء بشروا به ، وأمروا باتباعه .

وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة : ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويُزكِّيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ [البقرة: ١٢٩] .

وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة قال :

قلت : يا رسول الله ! ما كان بدء أمرك؟ قال :

---

(١) لم أره فيه ، وقد جهدت في الكشف عنه عبثاً ، وذكره المؤلف في تفسير آية (آل عمران) من حديث علي وابن عباس دون عزو مطلقاً ، وقلده الدكتور الهراس (ص١٤) ، وذكره السيوطي في «الخصائص» (١/٢٢) عن السدي قوله من رواية ابن أبي حاتم .

«دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام»[1] .

ورواه محمد بن إسحاق من طريق أخرى عن أصحاب رسول الله ﷺ عنه مثله[2] .

ومعنى هذا أنه أراد بدء أمره بين الناس واشتهار ذكره وانتشاره ، فذكر دعوة إبراهيم الذي تنسب إليه العرب ، ثم بشرى عيسى الذي هو خاتم أنبياء بني إسرائيل . يدل هذا على أن مَنْ بينهما من الأنبياء بشروا به أيضاً .

وفيه بشارة لأهل محلتنا أرض بصرى ، وأنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة ، ولله الحمد والمنة .

ولهذا كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام ، وكان فتحها صلحاً في خلافة أبي بكر رضي الله عنه .

أما في الملأ الأعلى ؛ فقد كان أمره مشهوراً مذكوراً معلوماً مِنْ قَبْلِ خَلْقِ آدم عليه الصلاة والسلام ؛ كما فيما روى أحمد بسنده عن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ :

«إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بأول

(١) «المسند» (٥/٢٦٢) ، وإسناده جيد في الشواهد ، والطريق التي بعده من شواهده .

(٢) قد ساق المؤلف متنه بتمامه فيما تقدم (ص ١٦) مُجَوِّداً إسناده ، وطرفه الأول (ص ١٣) ، وقد خرجته هناك مُصَحِّحاً .

ذلك ؛ دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت . . .»[1] .

وروى الإمام أحمد أيضاً عن ميسرة الفجر قال :

قلت : يا رسول الله ! متى كنت نبيّاً؟ قال :

«وآدم بين الروح والجسد»[2] .

إسناده جيد .

وقد رواه ابن شاهين في «دلائل النبوة» من حديث أبي هريرة قال :

سئل رسول الله ﷺ : متى وجبت لك النبوة؟ قال :

«بين خلق آدم ونفخ الروح فيه»[3] .

وفي رواية :

«وآدم منجدل في طينته» .

---

(١) «المسند» (١٢٧/٤ و١٢٨) بإسناد فيه جهالة ، وفي متنه نكارة ؛ فإن في آخره زيادة بلفظ : «وكذلك أمهات النبيين ترين»[1] ؛ لأنها مع ضعف إسنادها لم ترد ـ فيما علمت ـ في طريق أخرى ، ولذلك خرجت الحديث في «الضعيفة» (٢٠٨٥) ، وأوردت سائره هنا ؛ لأن له شواهد تقدم بعضها ، وبعضها يأتي عقبه .

(٢) قلت : إسناده صحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي وغيرهم ، وله شواهد خرجتها في «الصحيحة» (١٨٥٦) ؛ منها : حديث أبي هريرة الآتي بعده .

(٣) قلت : وأخرجه ابن حبان أيضاً ، وهو مخرج في المصدر الآنف الذكر .

---

(١) في الأصل تبعاً لأصله : «المؤمنين» دون قوله : «ترين» ، والتصويب من «المسند» ، وقد أعاده فيما بعد مع بعض الأحاديث التالية على الخطأ أيضاً ، فكأنه من المؤلف . والله أعلم .

ورَوَى من حديث ابن عباس :

قيل : يا رسول الله ! متى كنت نبياً؟ قال :

«وآدم بين الروح والجسد»[1] .

* * *

(١) قلت : وأخرجه ابن حبان أيضاً ، وهو مخرج في «الصحيحة» (١٨٥٦) .

وأما الكهان من العرب ؛ فأتتهم به الشياطين من الجن مما تسترق من السمع ، إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض[1] أموره ، ولا يلقي العرب لذلك فيه بالاً حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها .

فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر زمان بعثه ؛ حُجِبَتِ الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم ، فعرفت الشياطين أن ذلك لأمر حدث من أمر الله عز وجل .

قال [ابن إسحاق] :

وفي ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ : **﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً . يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نُشرك بربنا أحداً﴾** [الجن : ١ و٢] إلى آخر السورة .

وقد ذكرنا تفسير ذلك كله في كتابنا «التفسير» ، وكذلك قوله تعالى : **﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضي ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾** [الأحقاف : ٢٩ و٣٠] الآيات . ذكرنا تفسير ذلك كله هناك .

---

(١) الأصل تبعاً لأصله : «بعض ذكر» على القلب ! والتصحيح من «ابن هشام» (٢١٧/١) .

فصـــل

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا :

إن مما دعانا إلى الإسلام ـ مع رحمة الله تعالى وهداه لنا ـ لما كنا نسمع من رجال يهود[1] ، كنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن ؛ نقتلكم معه قتل عاد وإرم . فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم .

فلما بعث الله رسول الله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت هذه الآية : **﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون[2] على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾** [البقرة : ٨٩][3] .

(١) الأصل تبعاً لأصله : «أن كنا نسمع من رجل من يهود» ، والتصحيح من «ابن هشام» .

(٢) قال ابن هشام (١/٢٢٥) : «يستفتحون : يستنصرون . ويستفتحون أيضاً : يتحاكمون . وفي كتاب الله تعالى : **﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ [الأعراف :٨٩]**» .

قلت : وأما ما ذكر في بعض الكتب أن المعنى أنهم كانوا يتوسلون به ﷺ ؛ فمما لا أصل له في رواية ثابتة ؛ كما حققه ابن تيمية في «التوسل والوسيلة» .

(٣) قلت : وإسناده صحيح ، وهو في «السيرة» (١/٢٢٥) .

وروى ابن إسحاق عن سلمة بن سلامة بن وقش ـ وكان من أهل بدر ـ قال :

كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل ، قال : فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل ـ قال سلمة : وأنا يومئذٍ أحدث من فيه سناً ، عليَّ فروة لي مضطجع فيها بفناء أهلي ـ فذكر القيامةً والبعث ، والحساب والميزان ، والجنة والنار . قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت . فقالوا له : ويحك يا فلان ! أوَ ترَى هذا كائناً ؛ أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟! قال : نعم ؛ والذي يحلف به ، وَيَوَدُّ أن له بحظه[1] من تلك النار أعظم تنورٍ في الدار يُحمونه ، ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه ، وأن ينجو من تلك النار غداً .

قالوا له : ويحك يا فلان ! فما آية ذلك؟

قال : نبي مبعوث من نحو هذه البلاد . وأشار بيده إلى نحو (مكة) واليمن .

قالوا : ومتى تراه؟

قال : فنظر إليَّ وأنا من أحدثهم سناً ، فقال : إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه .

قال سلمة : فوالله ؛ ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله [محمداً] رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا ، فآمنا به ، وكفر به بغياً وحسداً .

قال : فقلنا له : ويحك يا فلان ! ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟

---

(١) الأصل تبعاً لأصله «بحطة» ! والتصحيح من «السيرة» و«دلائل النبوة» .

قال : بلى ، ولكن ليس به[1] !

رواه أحمد عن يعقوب عن أبيه عن ابن إسحاق[2] .

ورواه البيهقي عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير[3] .

وروى أبو نعيم في «الدلائل»[4] عن محمد بن سلمة قال :

لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهودي واحد يقال له : يوشع ، فسمعته يقول ـ وإني لغلام في إزار ـ : قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت ـ ثم أشار بيده إلى بيت الله ـ فمن أدركه فليصدقه .

فَبُعِثَ رسول الله ﷺ فأسلمنا ، وهو بين أظهرنا لم يسلم حسداً وبغياً .

* * *

---

(١) قلت : وإسناده صحيح ، وهو في «السيرة» لابن هشام (٢٢٥/١ - ٢٢٦) ، ومن طريقه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص١٦) ، وزاد في آخره : «وكان يقال له : يوشع» .

(٢) الأصل تبعاً للأصل : «ابن عباس» ، وهو خطأ ، وهو في «مسند أحمد» (٤٦٧/٣) .

(٣) قلت : يعني : عن محمد بن إسحاق ، وقد أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤١٧/٣ - ٤١٨) من طريق زياد بن عبدالله ـ وهو البَكّائي ـ عن محمد بن إسحاق به ، وقال : «صحيح على شرط مسلم» ! ووافقه الذهبي !

(٤) لم أره فيه ، وهو بمعنى ما قبله .

قال ابن إسحاق[1] : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال لي :

هل تدري عَمَّ كان إسلام ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعيد ، وأسد بن عبيد؟ - نفر من بني هدل إخوة بني قريظة ؛ كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا ساداتهم في الإسلام - قال : قلت : لا [والله] . قال :

فإن رجلاً من اليهود من أرض الشام يقال له : ابن الهيِّبان قدم علينا قبل الإسلام بسنين ، فحلَّ بين أظهرنا ، لا والله ؛ ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا ، فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له : اخرج يا ابن الهيبان ! فاستسق لنا . فيقول : لا والله ؛ حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة . فنقول : كم؟ فيقول : صاعاً من تمر ، أو مدّين من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا ، فوالله ؛ ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويسقي . قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث .

قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يا معشر يهود ! ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قال : قلنا : أنت أعلم .

قال : فإني إنما قدمت هذه البلدة أتَوَكَّف[2] خروج نبي قد أظل زمانه ، هذه البلدة مهاجَره ، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه ، فلا تُسْبَقُنَّ

---

(١) في «السيرة» (٢٢٦ - ٢٢٨) ، وعنه أبو نعيم في «الدلائل» (ص١٩) .

(٢) [أي : أتوقع وأنتظر] . الناشر .

إليه يا معشر يهود ! فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بُعِثَ رسول الله ﷺ ، وحاصر بني قريظة ؛ قال هؤلاء الفتية ـ وكانوا شباباً أحداثاً ـ : يا بني قريظة ! والله ؛ إنه لَلنَّبِيُّ الذي عهد إليكم فيه ابن الهيِّبان . قالوا : ليس به . قالوا : بلى والله ؛ إنه لهو بصفته . فنزلوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم[1] .

* * *

(١) قلت : وإسناده صحيح .

ثم ذكر ابن إسحاق رحمه الله إسلام الفارسي رضي الله عنه وأرضاه من حديث عبدالله بن عباس قال : حدثني سلمان الفارسي ـ مِنْ فيه ـ قال :

كنت رجلاً فارسيّاً من أهل (أصبهان)[1] ؛ من أهل قرية يقال لها : (جَيّ) ، وكان أبي دِهْقان[2] قريته ، وكنت أحب خلق الله إليه ، فلم يزل حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية .

واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطِن النار[3] الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة .

قال : وكانت لأبي ضيعة عظيمة ، فشغل في بنيان له يوماً ، فقال لي : يا بني ! إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي ، فاذهب إليها فاطَّلعها . وأمرني فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لي : ولا تحتبس عني ؛ فإنك إن احتبست عني كنت أهم إليَّ من ضيعتي ، وشغلتني عن كل شيء من أمري .

قال : فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ، ورغبت في أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه . فوالله ؛ ما بَرَحتُهم حتى غربت الشمس ،

(١) ولا ينافيه قوله عند البخاري : «أنا من (رامَهُرمز)» ، وهي مدينة معروفة بأرض (فارس) بقرب عراق العرب ؛ لأنه يمكن الجمع باعتبارين ؛ كما في «الفتح» (٢٧٧/٧) .

(٢) [زعيم فلاحي العجم ، ورئيس الإقليم . كذا في «القاموس»] . الناشر .

(٣) أي : خادمها .

وتركت ضيعة أبي فلم آتها ، ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين؟ قالوا : بالشام .

فرجعت إلى أبي ، وقد بعث في طلبي ، وشغلته عن أمره كله .

فلما جئت قال : أي بني ! أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟[1] .

قال : قلت : يا أبت ! مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيت من دينهم ، فوالله ؛ ما زلت عندهم حتى غربت الشمس .

قال : أي بني ! ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه .

قال : قلت : كلا والله ؛ إنه لخير من ديننا .

قال : فخافني ، فجعل في رجلي قيداً ، ثم حبسني في بيته .

قال : وبعثت إلى النصارى ، فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم . قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من[2] النصارى ، فأخبروني بهم ، فقلت : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني .

قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم ، فألقيت الحديد من رجلي ، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت : مَنْ أفضل هذا الدين علماً؟ قالوا : الأسقف في الكنيسة .

قال : فجئته فقلت له : إني قد رغبت في هذا الدين ، وأحببت أن أكون معك ، وأخدمك في كنيستك ، وأتعلم منك ، وأصلي معك . قال : ادخل .

---

(١) الأصل : «أعهد إليك ما عهدته» ، والمثبت من «السيرة» .

(٢) الأصل تبعاً لأصله : «فجاؤني» ! والتصحيح من «السيرة» .

فدخلت معه ، فكان رجل سوء ؛ يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ؛ فإذا جمعوا له شيئاً كنزه لنفسه ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب ووَرِق[1] .

قال : وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع .

ثم مات ، واجتمعت له النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء ؛ يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها كنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً .

قال : فقالوا لي : وما علمك بذلك؟ قال : فقلت لهم : أنا أدلكم على كنزه . قالوا : فدلنا . قال : فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورِقاً ، فلما رأوها قالوا : لا ندفنه أبداً . قال : فصلبوه ورموه بالحجارة .

وجاؤوا برجل آخر فوضعوه مكانه . قال سلمان : فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه ، وأزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلاً ونهاراً [منه] .

قال : فأحببته حباً لم أحب شيئاً قبله مثله .

قال : فأقمت معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : إني قد كنت معك ، وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى ، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال : أي بني ! والله ؛ ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا ، وتركوا أكثر ما كانوا عليه ؛ إلا رجلاً بـ (الموصل) ، وهو فلان ، وهو على ما كنت عليه ، فالْحَق به .

---

(١) [أي : فضة] . الناشر .

قال : فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب (المَوْصِل) ، فقلت : يا فلان ! إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك ، وأخبرني أنك على أمره . فقال لي : أقم عندي .

فأقمت عنده ، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان ! إن فلاناً أوصى بي إليك ، وأمرني باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال : يا بني ! والله ؛ ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بـ(نَصِيبِين) ، وهو فلان ، فالْحَقْ به .

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب (نَصِيبِين) ، فأخبرته خبري ، وما أمرني به صاحباي . فقال : أقم عندي . فأقمت عنده ، فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ؛ ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حُضر قلت له : يا فلان ! إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟

قال : يا بني ! والله ؛ ما أعلم بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجل بـ (عَمُّورِيَّة) من أرض الروم ؛ فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فائته ؛ فإنه على أمرنا .

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب (عَمُّورِيَّة) ، فأخبرته خبري ، فقال : أقم عندي . فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه .

قال : واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة .

قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حُضر قلت له : يا فلان ! إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟

قال : أي بني ! والله ؛ ما أعلم أصبح أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب ، مهاجَرُهُ إلى أرضٍ بين حرتين[1] بينهما نخل ، به علامات لا تخفى : يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وغُيِّب ، ومكثت بـ (عَمُّورِيّة) ما شاء الله أن أمكث .

ثم مر بي نفر من كَلْب تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه . قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني ؛ فباعوني من رجل يهودي عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ، ولم يَحِقَّ في نفسي .

فبينا أنا عنده ؛ إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من (المدينة) ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى (المدينة) ، فوالله ؛ ما هو إلا أن رأيتها ، فعرفتها بصفة صاحبي لها ، فأقمت بها .

---

(١) «الحرة» : كل أرض ذات حجارة سود .

وبُعِثَ رسول الله ﷺ ، فأقام بـ (مكة) ما أقام ، ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرِّق ، ثم هاجر إلى (المدينة) .

فوالله ؛ إني لفي رأس عذقٍ[1] لسيدي أعمل فيه بعض العمل ، وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال : يا فلان ! قاتل الله بني قيلة[2] ، والله ؛ إنهم لمجتمعون الآن بـ (قباء)[3] على رجل قدم من (مكة) اليوم يزعمون أنه نبي .

قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني الرِّعْدَةُ[4] ، حتى ظننت أني ساقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه : ماذا تقول؟ ماذا تقول؟

قال : فغضب سيدي ، فلكمني لكمة شديدة ، ثم قال : ما لك ولهذا؟! أقبل على عملك .

قال : فقلت : لا شيء ؛ إنما أردت أن أستثبته عما قال .

قال : وكان عندي شيء جمعته ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بـ (قباء) ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغني أنك

---

(١) بفتح العين : النخلة . وبكسرها : الكباسة ، والمراد هنا الأول .

(٢) يعني : الأنصار .

(٣) قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى (مكة) ، وقد اتصل بنيانها اليوم بـ (المدينة) ، فصارت ضاحية منها .

(٤) في «السيرة» وغيرها : «العُرواء» ، وفسرها ابن هشام بالرعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عرق فهي : الرحضاء .

رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم .

قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله ﷺ : «كلوا» ، وأمسك يده فلم يأكل .

فقلت في نفسي : هذه واحدة .

ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ثم جئته فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها .
قال : فأكل رسول الله ﷺ منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه .

قال : فقلت في نفسي : هاتان ثنتان .

قال : ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بـ (بقيع الغرقد) قد تبع جنازة رجل من أصحابه ، وعليه شملتان ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدبرته أنظر إلى ظهره ؛ هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته ؛ عرف أني أستثبت في شيء وصف لي ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبله وأبكي ، فقال لي رسول الله ﷺ : «تحوَّل» ، فتحولت بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس ! فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذاك أصحابه .

ثم شغل سلمانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسول الله ﷺ (بدر) و(أحد) .

قال سلمان : ثم قال لي رسول الله ﷺ :

«كاتِبْ يا سلمان !» .

فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير[1] ، وأربعين أوقية[2] ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه :

«أعينوا أخاكم» .

فأعانوني في النخل : الرجل بثلاثين ودِيَّة[3] ، والرجل بعشرين ودية ، والرجل بخمس عشرة ودية ، والرجل بعشرة ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية ، فقال لي رسول الله ﷺ :

«اذهب يا سلمان ! فَفَقِّر لها ، فإذا فرغت فائتني أكن أنا أضعها بيدي» .

قال : ففقرت ، وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته ، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها ، فجعلنا نقرب إليه الودِيَّ ، ويضعه رسول الله ﷺ بيده حتى إذا فرغنا ، فوالذي نفس سلمان بيده ؛ ما ماتت منها ودية واحدة[4] .

فأديت النخل وبقي عليَّ المال ، فَأُتِيَ رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة

---

(١) أي : بالحفر والغرس ، وفي «القاموس» : «الفقير : البئر التي تغرس فيها الفسيلة» .

(٢) أي : من الفضة .

(٣) هي واحدة (الودي) : فراخ النخل الصغار .

(٤) قلت : وأما ما في رواية لأحمد (٥/٤٤٠) : «فجعل يغرس بيده ؛ إلا واحدة غرستها بيدي ، فعلقن إلا الواحدة» ؛ ففيها علي بن زيد ، وهو ابن جدعان ، وهو ضعيف . وأما قول السهيلي في «الروض الأنف» (٢/٣٤٤) : «وذكر البخاري حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق ؛ غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده ودية واحدة ، وغرس رسول الله ﷺ سائرها ، فعاشت كلها إلا التي غرس سلمان . هذا معنى حديث البخاري» ؛ فهو من أوهامه ، فليس عند البخاري إلا ما سيذكره المؤلف وما علقته على أول الحديث ، وكل ذلك كلمات قليلات .

من ذهب من بعض المعادن ، فقال :

«ما فعل الفارسي المكاتَب؟» .

قال : فَدُعِيتُ له ، قال :

«خذ هذه فأدِّها مما عليك يا سلمان !» .

قال : قلت : وأين تقع هذه مما عليَّ يا رسول الله؟ قال :

«خذها ؛ فإن الله سيؤدي بها عنك» .

قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم .

وعُتِقَ سلمان . فشهدت مع رسول الله ﷺ (الخندق) حرّاً ، ثم لم يَفُتْنِي معه مشهد[1] .

---

(١) قلت : وإسناده صحيح ، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أحمد (٥/٤٤١ - ٤٤٤) ، وأبو نعيم في «الدلائل» (ص٨٧ - ٨٩) ، وكذا ابن سعد ، والبيهقي ؛ كما في «الخصائص الكبرى» للسيوطي (١/٤٨) ، وعلَّق البخاري بعضه .

وأخرجه الحاكم (٣/٥٩٩ - ٦٠٢) من طريق أخرى عن سلمان به مطولاً جدّاً ؛ ساق المؤلف أطرافاً منه ، ثم قال :

«وفي هذا السياق غرابة كثيرة ، وفيه بعض المخالفة لسياق ابن إسحاق ، وطريق ابن إسحاق أقوى إسناداً ، وأحسن اقتصاصاً ، وأقرب إلى ما رواه البخاري . . .» إلخ كلامه الآتي .

ولما قال الحاكم عقبه : «حديث صحيح» تعقبه الذهبي بقوله :

«قلت : بل مجمع على ضعفه» .

وعلته أن فيه علي بن عاصم ، وهو الواسطي ، وهو صدوق ؛ لكنه يخطئ ويصر ؛ كما في «التقريب» لابن حجر العسقلاني .

وروى البخاري في «صحيحه» من حديث أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي :

أنه تداوله بضعة عشر ؛ من رَبٍّ إلى رَبٍّ .

أي : من معلم إلى معلم ، ومُرَبٍّ إلى مثله . والله أعلم[1] .

* * *

(١) قلت : وهذا المعنى أولى مما حكاه المؤلف عقبه عن السهيلي أنه قال : «تداوله ثلاثون سيداً ؛ من سيد إلى سيد» .

ولم يذكر في «الفتح» (٧/٢٧٧) سواه . والله أعلم .

وستأتي قصة أبي سفيان مع (هِرَقْل) ملك الروم حين سأله عن صفات رسول الله ﷺ وأحواله ، واستدلاله بذلك على صدقه ونبوته ورسالته ، وقال له : كنت أعلم أنه خارج ، ولكن لم أكن أظن أنه فيكم ، ولو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، ولئن كان ما تقول حقاً ليملكن موضع قدميّ هاتين . وكذلك وقع ولله الحمد والمنة .

* * *

وقال الله تعالى : ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

روى الإمام أحمد[1] عن رجل من الأعراب قال :

جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ ، فلما فرغت من بيعي قلت : لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه . قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعتهم ، حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها ؛ يعزي بها على نفسه عن ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجملهم ، فقال رسول الله ﷺ :

«أنشدك بالذي أنزل التوراة ؛ هل تجدني في كتابك ذا صفتي ومخرجي؟» .

فقال برأسه هكذا ؛ أي : لا . فقال ابنه : إي والذي أنزل التوراة ؛ إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . فقال :

«أقيموا اليهودي عن أخيكم» . ثم وَلِيَ كفنه والصلاة عليه .

---

(١) في «المسند» (٥/٤١١) .

هذا إسناد جيد ، وله شاهد[1] في «الصحيح» عن أنس بن مالك رضي الله عنه[2] .

روى أبو القاسم البغوي بإسناده عن الفَلَتان[3] بن عاصم ، وذكر أن خاله قال :

كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ شخص بصره إلى رجل ، فإذا يهودي عليه قميص وسراويل ونعلان . قال : فجعل النبي ﷺ يكلمه وهو يقول : يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ :

«أتشهد أني رسول الله؟» .

قال : لا . قال رسول الله ﷺ :

---

(١) الأصل : «شواهد» ، والتصويب من «تفسير ابن كثير» ، وفيه : «هذا حديث جيد . . .» . ولعل هذا أقرب إلى الصواب ؛ فإن أبا صخر العقيلي لم أعرفه ، ولم يورده ابن أبي حاتم في كتابه ، ولا أدري إذا كان في «تعجيل المنفعة» للعسقلاني؟ فإني لا أطوله الآن وأنا في (الشارقة) ، وقد استعرت مجموعة من المصادر الحديثية من (جامعة العين) بواسطة مديرها ـ فيما أظن ـ الأخ الفاضل الدكتور عز الدين إبراهيم جزاه الله خيراً ، وليس هذا فيها ، وما أظنه أبا صخر الأيلي يزيد بن أبي سمية المترجم في «التهذيب» . والله أعلم . ثم بدا لي أن من المحتمل أنه عبدالله بن شقيق العقيلي ؛ فإن من الرواة عنه الجريري ، وهذا الحديث من روايته عنه ، ولا يخدج في ذلك أن كنيته أبو عبدالرحمن ، ويقال : أبو محمد ، وكنيته في هذا الحديث أبو صخر ؛ لاحتمال أنه وجه آخر من الاختلاف في كنيته . والله أعلم .

(٢) يشير إلى حديثه الذي في «البخاري» وغيره ؛ قال :

كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض ، فأتاه النبي ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له : «أسلم» . فنظر إلى أبيه وهو عنده ؟ فقال : أطع أبا القاسم . فأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : «الحمد الله الذي أنقذه من النار» . زاد غيره : فلما مات قال : «صلوا على صاحبكم» . وهو مخرج في «أحكام الجنائز وبدعها» (ص١١) .

(٣) الأصل : «الصَّلتان» !! وتحرف عليه فيما يأتي (ص ١٠٨) على وجه آخر : (العليان) !

«أتقرأ التوراة؟» . قال : نعم . قال :

«أتقرأ الإنجيل؟» . قال : نعم . قال :

«والقرآن؟» . قال : لا ؛ ولو تشاء[1] قرأته .

فقال النبي ﷺ :

«فبم (!) تقرأ التوراة والإنجيل أتجدني نبيّاً؟» . قال : إنا نجد نعتك ومخرجك ، فلما خرجت رجونا أن تكون فينا ، فلما رأيناك عرفناك أنك لست به .

قال رسول الله ﷺ :

«ولم يا يهودي؟» . قال : إنا نجده مكتوباً : يدخل من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب . ولا نرى معك إلا نفراً يسيراً .

فقال رسول الله ﷺ :

«إن أمتي[2] لأَكْثَرُ من سبعين ألفاً ، وسبعين ألفاً» .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه[3] .

---

(١) كذا الأصل ، وفي رواية البزار : «أشاء» ، ولعله أصح .

(٢) قلت : يعني : الذين يدخلون الجنة بغير حساب . ولفظ رواية البزار وغيره : «والذي نفسي بيده ؛ لأَنا هو ، وإنهم لأُمَّتِي ، وإنهم لأَكْثَرُ . . .» إلخ .

(٣) قلت : وإسناده صحيح ، رجاله كلهم ثقات ، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٤٠٧ - ٤٠٨) من مسند (الفَلَتان بن عاصم) لم يذكر خاله بنحوه ، وقال :

«رواه البزار ، ورجاله ثقات» .

وكذلك ذكره السيوطي في «الخصائص» (١/٣٨) من رواية الطبراني والبيهقي وأبي نعيم =

وثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ مر بِمدراس اليهود ، فقال لهم :

= وابن عساكر ، وفاته ابن حبان (٢١٠٧) .

(تنبيه) : قال صديقنا الدكتور محمد خليل هراس في تعليقه على «الخصائص» :

«والحديث يبدو عليه سمة الوضع ؛ فإنه لم يكن من عادته ﷺ أن يسأل أحداً من أهل الكتاب عن نعته في التوراة أو الإنجيل ، ولهذا لما نزل عليه : **﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك﴾** [يونس : ٩٤] قال : (لا أشك ولا أسأل)» .

قلت : الحديث صحيح ، والحكم عليه بالوضع تهور قبيح ! لأنه ليس فيه أنه ﷺ سأل اليهودي لإزالة شكه فيما أُنزل إليه من ربه ، حاشاه من ذلك ، فقد يكون السؤال لغير ذلك ؛ مثل إقامة الحجة على المخالف بكلامه ، وهذا الحديث من هذا القبيل ، ومثله ليس بالقليل .

ومن الواجب التوفيق بين النصوص الثابتة شرعاً ما أمكن ـ كما هو مقرر في علمي أصول الحديث والفقه ـ وإلى ذلك يشير الأثر الوارد عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما ؛ قالا :

«إذا حدثتم بالحديث عن رسول الله ﷺ ؛ فظنوا به الذي هو أهيا ، والذي هو أهدى ، والذي هو أتقى» .

أخرجه الدارمي (١٤٥/١) ، وأحمد (١٢٢/١ و١٢٦ و١٣٠ و١٣١ و٣٨٥ و٤١٥) بإسنادين صحيحين عنهما .

وأما حديث الدكتور : «لا أشك ولا أسأل» فلا يصح ؛ لأنه من بلاغات قتادة ومراسيله !

وإن مما يشهد لحديث الباب ما رواه أبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود عن أبيه قال :

إن الله عز وجل ابتعث نبيه ﷺ لإدخال رجل إلى الجنة ، فدخل الكنيسة ، فإذا هو بيهودي يقرأ عليهم التوراة ، فلما أتوا على صفة النبي ﷺ أمسكوا ، وفي ناحيتها رجل مريض ، فقال النبي ﷺ :

«ما لكم أمسكتم؟» .

قال المريض : إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا ، ثم جاء المريض يحبو ، حتى أخذ التوراة فقرأ ، حتى أتى على صفة النبي ﷺ وأمته ، فقال : هذه صفتك وصفة أمتك ، =

«يا معشر اليهود ! أسلموا ، فوالذي نفسي بيده ؛ إنكم لتجدون صفتي في كتبكم» . الحديث[1] .

وروى أحمد والبخاري عن عطاء بن يسار قال :

لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفات رسول الله ﷺ في التوراة . فقال :

أَجَلْ ؛ والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن : يا أيها النبي ! إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، لا فظ ، ولا غليظ ، ولا صَخّاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به[2] الملة العوجاء ؛ بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً[3] .

ورواه ابن جرير ، وزاد :

قال عطاء : فلقيت كعباً ، فسألته عن ذلك؟ فما اختلفا [في] حرف .

= أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . ثم مات ، فقال النبي ﷺ : «لُوا أخاكم» .

أخرجه أحمد (٤١٦/١) ، ورجاله ثقات .

(١) قلت : أخرجه البخاري في ثلاثة مواطن (٣١٦٧ و٦٩٤٤ و٧٣٤٨) من حديث أبي هريرة دون قوله : «فوالذي . . .» ، وفيه قصة .

(٢) في الأصل : «يقيموا الملة» ، والتصويب من «المسند» و«البخاري» ، وصححت منهما أخطاءً أخرى وقعت فيه .

(٣) «المسند» (١٧٤/٢) ، وعنده زيادة ابن جرير الآتية ، و«صحيح البخاري» (٢١٢٥ و٤٨٣٨) .

ورواه البيهقي من طريق أخرى عن عطاء بن يسار عن ابن سلام : أنه كان يقول :

إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ : إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميته المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي السيئة بمثلها ، ولكن يعفو ويتجاوز ، ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء ؛ بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، يفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً .

وقال عطاء بن يسار : وأخبرني الليثي : أنه سمع كعب الأحبار يقول مثلما قال ابن سلام[1] .

قلت : وهذا عن عبدالله بن سلام أشبه ، ولكن الرواية عن عبدالله بن عمرو أكثر ؛ مع أنه كان قد وجد يوم (اليرموك) زاملتين من كتب أهل الكتاب ، وكان يحدث عنهما كثيراً .

وليعلم أن كثيراً من السلف كانوا يطلقون (التوراة) على كتب أهل الكتاب ، فهي عندهم أعم من التي أنزلها الله على موسى ، وقد ثبت شاهد ذلك من الحديث .

والعلم بأنه موجود في كتب أهل الكتاب معلوم من الدين ضرورة ، وقد دل

(١) قلت : ورواه الدارمي (٥/١) من الطريق المشار إليها ، وفيها (عبدالله بن صالح) كاتب الليث ، وفيه ضعف .

على ذلك آيات كثيرة في الكتاب العزيز ؛ تكلمنا عليها في مواضعها ، ولله الحمد .

فمن ذلك قوله : **﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾** [القصص : ٥٢ و٥٣] .

وقال تعالى : **﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾** [البقرة : ١٤٦] .

وقال تعالى : **﴿إن الذين أُوتُوا العلمَ من قبله إذا يتلى عليهم يَخِرُّونَ للأذقان سُجَّداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً﴾** [الإسراء : ١٠٧ و١٠٨] .

وقال تعالى إخباراً عن القسيسين والرهبان : **﴿وإذا سمعوا ما أُنْزِلَ إلى الرسول ترى أعينَهم تفيض من الدمع مما عَرَفُوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾** [المائدة : ٨٣] .

وفي قصة النجاشي وسلمان وعبدالله بن سلام[1] وغيرهم ؛ كما سيأتي شواهد كثيرة لهذا المعنى ، ولله الحمد والمنة .

وذكرنا في تضاعيف «قصص الأنبياء» وصفهم لبعثة رسول الله ﷺ ، ونعته ، وبلد مولده ، ودار مهاجره ، ونعت أمته في قصة موسى ، وشعيا ، وأرمياء ، ودانيال ، وغيرهم .

---

(١) قلت : أما قصة النجاشي ؛ فستأتي في (باب الهجرة إلى الحبشة) ، وأما قصة سلمان فتقدمت قريباً ، وأما قصة عبدالله بن سلام ؛ فسيذكرها المؤلف في (سبب هجرته ﷺ بنفسه) ، وقد استدركت عليه هنا رواية أخرى فيها ، وسأذكرها قريباً إن شاء الله تعالى .

وفي الإنجيل البشارة بـ (الفارقليط) ، والمراد محمد ﷺ .

وروى البيهقي عن الحاكم بإسناده عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال :

«مكتوب في الإنجيل : لا فظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة مثلها ، بل يعفو ويصفح»[1] .

[المستدرك]

عن عوف بن مالك الأشجعي قال :

انطلق النبي ﷺ [يوماً] وأنا معه ، حتى دخلنا كنيسة اليهود [بالمدينة يوم عيد لهم ، فكرهوا دخولنا عليهم] ، فقال [لهم] :

«يا معشر اليهود ! أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؛ يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليهم» .

قال : فأسكتوا ما أجابه منهم أحد ، ثم رد عليهم ، فلم يجبه منهم أحد ، فقال :

«أبيتم ! فوالله ؛ [إني] لأنا الحاشر ، وأنا العاقب ، وأنا النبي المصطفى ؛ آمنتم أو كذبتم» .

---

(١) أخرجه الحاكم (٦١٤/٢) وقال : «صحيح على شرط الشيخين» ! ووافقه الذهبي ! وهو من أوهامهما ؛ فإن رجاله على شرط مسلم وحده ؛ غير أحمد بن عبد الجبار لم يخرج له الشيخان ، قال الحافظ : «ضعيف ، وسماعه للسيرة صحيح» .

ثم انصرف وأنا معه ، حتى [إذا] كدنا أن نخرج ، فإذا رجل من خلفنا يقول : كما أنت يا محمد ! فقال ذلك الرجل : أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا : والله ؛ ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك ، ولا أفقه منك ، ولا من أبيك قبلك ، ولا من جدك قبل أبيك . قال : فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة . فقالوا : كذبت ! ثم ردوا عليه قوله ، وقالوا فيه شراً ، فقال رسول الله ﷺ :

«كذبتم ، لن يقبل قولكم ، أما آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم ، وأما إذ آمن فكذبتموه وقلتم فيه ما قلتم ، فلن يقبل قولكم» .

قال : فخرجنا ونحن ثلاثة : رسول الله ﷺ ، وأنا ، وعبدالله بن سلام ، وأنزل الله تعالى فيه : **﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾** [الأحقاف:١٠][1] . [انتهى المستدرك] .

(١) أخرجه أحمد (٦/٢٥) ، والزيادات له ، والحاكم (٣/٤١٥ - ٤١٦) وقال : «صحيح على شرط الشيخين» ! ووافقه الذهبي ! وإنما هو على شرط مسلم فقط ؛ لأن صفوان بن عمرو لم يخرج له البخاري إلا في «الأدب المفرد» .

باب في هواتف الجان
وهو ما ألقته الجان على ألسنة الكهان ومسموعاً من الأوثان

روى البخاري[1] عن عبدالله بن عمر قال :

ما سمعت عمر يقول لشيء قط : إني لأظنه [كذا] . إلا كان كما يظن .

بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل ، فقال : لقد أخطأ ظني ، أو أن هذا على دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ، عليَّ الرَّجُلَ[2] .

فَدُعِيَ به ، فقال له ذلك . فقال : ما رأيت كاليوم استُقبِل به رجل مسلم !

قال : فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني . قال : كنت كاهنهم في الجاهلية . قال : فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟

قال : بينما أنا في السوق يوماً ؛ جاءتني أعرف فيها الفزع ، فقالت :

ألم ترَ الجن وإبلاسها ، ويأسها من بعد إنكاسها ، ولحوقها بالقِلاص وأحلاسها؟

---

(١) في (إسلام عمر) من «صحيحه» (رقم ٣٨٦٦) ، ورواه ابن إسحاق في «السيرة» (٢٢٣/١ - ٢٢٤) بأتم منه من طريق أخرى مرسلة ، وفيه من لم يسم ، وقد ساقه المؤلف في الأصل مع روايات أخرى مختلفة كلها معلولة ، وبعضها أشد ضعفاً من بعض ، وقد أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٧٩/٧) ؛ ولكنه قال : «وهذه الطرق يقوي بعضها بعضاً» . ويعني في الجملة ؛ وإلا فبينها اختلاف شديد زيادة ونقصاً ، والعمدة فيه حديث البخاري .

(٢) [أي : أحضروه إليّ] . الناشر .

قال عمر : صدق ، بينا أنا عند آلهتهم جاء رجل بعجل فذبحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول : يا جَليح ! أمر نجيح ، رجل فصيح يقول : لا إله إلا الله . فوثب القوم ، قلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا . ثم نادى : يا جليح ! أمر نجيح ، رجل فصيح يقول : لا إله إلا الله . فقمت ، فما نَشِبْنا أن قيل : هذا نبي .

وهذا الرجل هو سواد بن قارب الأزدي ، ويقال : الدوسي من أهل السراة من جبال (البلقاء) ، له صحبة ووفادة .

وروى الحافظ أبو نعيم عن جابر بن عبدالله قال :

إن أول خبر كان بالمدينة بمبعث رسول الله ﷺ أن امرأة بالمدينة كان لها تابع من الجن ، فجاء في صورة طائر أبيض ، فوقع على حائط لهم ، فقالت له : ألا تنزل إلينا فتحدثنا ونحدثك ، وتخبرنا ونخبرك؟ فقال لها : إنه قد بعث نبي بمكة حرم الزنا ، ومنع منا القرار[1] .

---

(١) قلت : رواه في «الدلائل» (ص٢٩) ، وإسناده حسن ، ورجاله كلهم معروفون من رجال «التهذيب» ؛ غير عبد الجبار بن عاصم ، وقد روى عنه أبو زرعة .

باب كيفية بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم

كان ذلك وله ﷺ من العمر أربعون سنة[1] .

روى البخارى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة[2] في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار (حراء) ، فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .

فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : «ما أنا بقارئ» . قال : «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهْد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ [العلق : ١ ـ ٥]» .

---

(١) قلت : هذا هو الصحيح عند أهل السير والعلم بالأثر ؛ كما قال السهيلي (٣٨٤/٢) ، وهو قول ابن عباس ـ كما في «البخاري» (٣٩٠٢) ـ : «بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة ، فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين» . ورواه مسلم (٨٨/٧) بنحوه ، وما خالفه شاذ ، وانظر : «تاريخ الطبري» (٢٩٠/٢) .

(٢) كذا عند البخاري في «التفسير» (٤٩٥٣) ، ولفظه في (بدء الوحي) (٣) : «الصالحة» .

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : «زَمِّلوني زمِّلوني» . فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوع .

فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ : «لقد خشيت على نفسي» .

فقالت خديجة : كلا ؛ [أبشر][1] ؛ فوالله لا يخزيك الله أبداً ؛ إنك لتصل الرحم ، [وتصدق الحديث][1] ، وتقري الضيف ، وتحملُ الكَلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت على ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ابن عم خديجة [أخي أبيها] ، وكان امرءاً قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي .

فقالت له خديجة : يا ابن عم ! اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخي ! ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس[2] الذي كان ينزل على موسى ، يا ليتني فيها جَذَعاً ، ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ :

«أَوَ مُخْرِجِيَّ هم؟!» .

فقال : نعم ؛ لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عُودِيَ ، وإن يدركني يومُك أنصرك نصراً مؤزراً .

---

(١) زيادة في رواية للبخاري ، وسيذكرها المؤلف في أثناء شرحه لبعض الجمل (ص ٩١) .

(٢) هو صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره ـ كما في «البخاري» ـ والمراد هنا : جبريل عليه السلام . «جذعاً» ؛ أي : شاباً .

ثم لم يَنْشَبْ ورقة أن توفي ، وفتر الوحي فترة ؛ حتى حزن رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنا ـ[1] حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل ، فقال : يا محمد ! إنك رسول الله حقّاً . فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، قال : فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل ، فقال له مثل ذلك .

هكذا وقع مطولاً في (باب التعبير) من «البخاري»[2] .

قال جابر بن عبدالله الأنصاري ـ وهو يحدث عن فترة الوحي ، فقال في حديثه ـ :

«بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصري ؛ فإذا الملَك الذي جاءني بـ (حِراء) جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرُعبتُ منه ، فرجعت ، فقلت : زملوني زملوني . فأنزل الله : ﴿ **يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر ، وثيابك فطهر . والرجز فاهجر** ﴾ [المدثر : ١ـ ٥] . فحمي الوحي وتتابع»[3] .

---

(١) قلت : القائل : «فيما بلغنا» هو ابن شهاب الزهري راوي الحديث عن عروة عن عائشة ، فقوله هذا يشعر بأن هذه الفقرة ليست على شرط الصحيح ؛ لأنها من بلاغات الزهري ، فليست موصولة ؛ كما في «الفتح» ، فتنبه ، وكأنه لذلك لم يسقها مسلم في «صحيحه» ؛ كما سيذكره المؤلف رحمه الله تعالى ، وهو عنده في (الإيمان) (١/٩٧ - ٩٨) .

(٢) رقم (٦٩٨٢) ، وساقه في (بدء الوحي) رقم (٣) وفي (التفسير) (٤٩٥٣) دون بلاغ الزهري .

(٣) أخرجه البخاري بهذا اللفظ رقم (٤ و٤٩٥٤) عقب حديث عائشة الذي قبله ، وأخرجه مفصولاً عنه في مواضع أخرى (٣٢٣٨ و٤٩٢٥ و٤٩٢٦ و٦٢١٤) . ثم رواه هو (٤٩٢٢ و٤٩٢٣ و٤٩٢٤) ، ومسلم (١/٩٩) عن جابر نحوه .

رواه البخاري رحمه الله في كتابه في مواضع منه ، وتكلمنا عليه مطولاً في أول «شرح البخاري» في (كتاب بدء الوحي) إسناداً ومتناً ، ولله الحمد والمنة .

وأخرجه مسلم في «صحيحه» ، وانتهى سياقه إلى قول ورقة : «أنصرك نصراً مؤزراً» .

فقول أم المؤمنين عائشة : «أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح» يقوي ما ذكره محمد بن إسحاق عن عبيد بن عمير الليثي : أن النبي ﷺ قال :

«فجاءني جبريل وأنا نائم بنَمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ . فقلت : ما أقرأ . فَغَتَّنِي حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني»[1] .

وذكر نحو حديث عائشة سواء .

فكان هذا كالتوطئة لما يأتي بعده من اليقظة ، وقد جاء مصرحاً بهذا في «مغازي موسىٰ بن عقبة» عن الزهري أنه رأى ذلك في المنام ، ثم جاءه الملك في اليقظة .

وروى أبو نعيم في «الدلائل» بسنده عن علقمة بن قيس قال :

«إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ، ثم ينزل الوحي بعد»[2] .

---

(١) «السيرة» (٢٥٢/١) ، وسنده مرسل صحيح ، وروى طرفاً منه الحاكم (٥٢٩/٢) من رواية عمرو بن دينار عن جابر مرفوعاً ، وذكر أن الصواب مرسل ليس فيه جابر ، وفي رواية ابن لهيعة بسنده عن عائشة مرفوعاً : كان أول شأنه يرى في المنام ، وكان أول ما رأى جبريل بـ (أجياد) . . . ثم استعلن له جبريل من قبل حراء . . . فذكر قصة : ﴿اقرأ باسم ربك﴾ . «فتح» (٢٣/١) .

(٢) لم نره في المطبوعة من «الدلائل» .

قال أبو شامة : وقد كان رسول الله ﷺ يرى عجائب قبل بعثته .

فمن ذلك ما في «صحيح مسلم» عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أُبعث ، إني لأعرفه الآن»[1] . انتهى كلامه .

وإنما كان رسول الله ﷺ يحب الخلاء والانفراد عن قومه ؛ لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام ، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إيحاء الله إليه ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقوله في الحديث : «والتحنث : التعبّد» تفسير بالمعنى ، وإلا فحقيقة التحنث من حيث البنية ـ فيما قاله السهيلي ـ : الدخول في الحنث . ولكن سمعت ألفاظ قليلة في اللغة معناها : الخروج من ذلك الشيء ؛ كتحنث ؛ أي : خرج من الحنث ، وتحوب ، وتحرج وتأثم . وتهجد : هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة ، وتنجس وتقذر . أوردها أبو شامة .

قال ابن هشام : والعرب تقول : التحنث والتحنف . يبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جدّف وجدث ، كما قال رؤبة :

لو كان أحجاري من الأجداف .

يريد : الأجداث .

(١) مسلم (٧/٥٨ - ٥٩) ، وأبو نعيم في «الدلائل» (ص١٤١) ، وله شاهد من حديث علي سيأتي من المؤلف (ص ٩٥) .

قال : وحدثني أبو عبيدة : أن العرب تقول : (فُمَّ) في موضع (ثُمَّ) .

قلت : ومن ذلك قول بعض المفسرين : ﴿وفومها﴾ أن المراد : ثومها .

وقوله : «حتى فَجَأَهُ الحق وهو بغار حراء» ؛ أي : جاء بغتة على غير موعد ؛ كما قال تعالى : **﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك﴾** الآية [النمل : ٨٦] .

وقد كان نزول هذه السورة الكريمة وهي : **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم﴾** [العلق : ١ ـ ٥] ـ وهي أول ما نزل من القرآن ؛ كما قررنا ذلك في «التفسير» ، وكما سيأتي أيضاً ـ في يوم الاثنين ؛ كما ثبت في «صحيح مسلم»[1] عن أبي قتادة : أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال :

«ذاك يوم وُلدت فيه ، ويوم أُنزل عليَّ فيه» .

وقال ابن عباس :

ولد نبيكم محمد ﷺ يوم الاثنين ، ونُبِّي يوم الاثنين .

وهذا ما لا خلاف فيه .

والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان ؛ كما نص على ذلك عبيد بن عمير ومحمد بن إسحاق وغيرهما ، واستدل ابن إسحاق على ذلك بقوله تعالى : **﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس﴾** [البقرة : ١٨٥] .

---

(١) (١٦٨/٣) .

وروى الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع : أن رسول الله ﷺ قال :

«أُنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»[1] .

وروى ابن مردويه في «تفسيره» عن جابر بن عبدالله مرفوعاً نحوه .

ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين .

وأما قول جبريل : «اقرأ» ، فقال : «ما أنا بقارئ» ؛ فالصحيح أن قوله : «ما أنا بقارئ» نفي ؛ أي : لست ممن يحسن القراءة ، وممن رجحه النووي ، وقبله الشيخ أبو شامة[2] .

ومن قال : إنها استفهامية . فقوله بعيد ؛ لأن الباء لا تزاد في الإثبات .

وقوله : «حتى بلغ مني الجهد» : يُروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع[3] ، وفعل به ثلاثاً ، قال الخطابي :

«وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره ، ويحسن تأديبه ، فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة ، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم ، وتأخذه (الرُّحَضاء) ؛ أي : البهر والعرق» .

---

(١) قلت : وإسناده حسن ؛ كما هو مبين في «الصحيحة» (١٥٧٥) .

(٢) وأيده الحافظ في «الفتح» (١/٢٤) .

(٣) والمعنى على النصب ؛ أي : بلغ الغط مني غاية وسعي . وعلى الضم ؛ أي : بلغ مني الجهد مبلغه .

وقال غيره : إنما فعل ذلك لأمور : منها أن يستيقظ لعظمة ما يُلقى إليه بعد هذا الصنيع المشق على النفوس ؛ كما قال تعالى : ﴿**إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً**﴾ [المزمل : ٥] ، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحي يحمر وجهه ، ويغط كما يغط البَكْر من الإبل[١] ، ويتفصَّد جبينه عرقاً في اليوم الشديد البرد[٢] .

وقوله : «فرجع بها رسول الله ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده» ، وفي رواية : «بوادره» : جمع بادرة ؛ قال أبو عبيدة : وهي لحمة بين المنكب والعنق . وقال غيره : هي عروق تضطرب عند الفزع .

وقوله : «لقد خشيت على نفسي» ، وذلك لأنه شاهد أمراً لم يعهده قبل ذلك ، ولا كان في خلده ، ولهذا قالت خديجة : كلا ؛ أبشر[٣] والله ؛ لا يخزيك الله أبداً . قيل : من الخزي ، وقيل : من الحزن ، وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميل العوائد في خلقه ؛ أن من كان متصفاً بصفات الخير لا يخزى في الدنيا ولا في الآخرة .

ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة . فقالت : «إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث»[٣] . وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق .

---

(١) هو قطعة من حديث يعلى بن أمية في «البخاري» (رقم ٨٦٧ - مختصره) ، وسيأتي في (عمرة الجعرانة) بتمامه .

(٢) هذا قطعة من حديث عائشة الآتي بتمامه في (كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله ﷺ) .

(٣) انظر التعليق المتقدم (ص ٨٥) ، ووقع في الأصل : « أبشر كلا » على القلب ، والتصويب من «البخاري» .

«وتحمل الكلَّ» ؛ أي : عن غيرك ، تعطي صاحب العيلة ما يريحه من ثقل مؤونة عياله .

«وتَكسِب المعدوم» ؛ أي : تسبق إلى فعل الخير ، فتبادر إلى إعطاء الفقير ، فتكسب حسنته قبل غيرك ، ويسمى الفقير معدوماً ؛ لأن حياته ناقصة ، فوجوده وعدمه سواء ؛ كما قال بعضهم :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي أن المراد بـ (المعدوم) ههنا : المال المُعطى ؛ أي : يعطي المال لمن هو عادمه .

ومن قال : إن المراد أنك تكسب باتجارك المال المعدوم ، أو النفيس القليل النظير ؛ فقد أبعد النجعة ، وأغرق في النزع ، وتكلف ما ليس له علم ، فإن مثل هذا لا يمدح به غالباً ، وقد ضعف هذا القول عياض والنووي وغيرهما . والله أعلم .

«وتَقْري الضيف» ؛ أي : تكرمه في تقديم قراه ، وإحسان مأواه .

«وتعين على نوائب الحق» ، ويروى «الخير» ؛ أي : إذا وقعت نائبة لأحد في خير أعنت فيها ، وقمت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش ، أو قواماً من عيش .

وقول ورقة : «يا ليتني فيها جَذَعا» ؛ أي : يا ليتني أكون اليوم شاباً متمكناً من الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح .

«يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك» ؛ يعني : حتى أخرج معك وأنصرك .

«نصراً مُؤَزَّراً» ؛ أي : أنصرك نصراً عزيزاً أبداً .

وقوله : «ثم لم ينشب ورقة أن تُوفي» ؛ أي : توفي بعد هذه القصة بقليل ، رحمه الله ورضي عنه ، فإن مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وُجِد ، وإيمان بما حصل من الوحي ، ونية صالحة للمستقبل .

وقد روى الإمام أحمد عن ابن لهيعة : حدثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة : أن خديجة سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل؟ فقال :

«قد رأيته ؛ فرأيت عليه ثياب بياض ، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض» .

وهذا إسناد حسن ؛ لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلاً . فالله أعلم[1] .

وروى الحافظ أبو يعلى عن مجالد[2] عن الشعبي عن جابر بن عبدالله : أن

---

(١) قلت : وأخرجه الترمذي في (الرؤيا/ باب ١٠) ، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٣/٤) من طريق عثمان بن عبدالرحمن عن الزهري عن عروة عن عائشة به . وقال الحاكم :

«صحيح الإسناد» ! وردَّه الذهبي بقوله :

«قلت : عثمان هو الوقاصي متروك» .

ولذلك استغربه الترمذي ، وأعله به .

(٢) هو ابن سعيد الهمْداني ، وليس بالقوي ؛ كما في «التقريب» ؛ لكن قال الهيثمي في «المجمع» (٤١٦/٩) بعدما عزاه لأبي يعلى :

«وهذا مما مدح من حديث مجالد ، وبقية رجاله رجال (الصحيح)» .

ثم ذكر أن البزار رواه من طريقه دون قضية أبي طالب ، وستأتي هي وقضية خديجة من رواية «الصحيح» في (وفاة أبي طالب) و(خديجة) .

رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل؟ فقال :

«قد رأيته ؛ فرأيت عليه ثياب بياض ، أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس» .

وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل؟ فقال :

«يبعث يوم القيامة أمة وحده» .

وسئل عن أبي طالب؟ فقال :

«أخرجته من غمرة من جهنم إلى ضحضاح منها» .

وسئل عن خديجة ؛ لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن؟ فقال :

«أبصرتها على نهر في الجنة في بيت من قصب[1] ؛ لا صخب فيه ولا نصب» .

إسناده حسن ، ولبعضه شواهد في «الصحيح» . والله أعلم .

وروى البزار وابن عساكر عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :

«لا تسبوا ورقة ؛ فإني رأيت له جنة أو جنتين» .

وهذا إسناد جيد ، وروي مرسلاً ، وهو أشبه[2] .

* * *

(١) أي : في قصر من «قصب» ؛ أي : جوهر ، وهو ما استطال منه في تجويف .

(٢) قلت : هو من رواية هشام بن عروة عن أبيه عنها ، وقد رواه عنه ثقتان : أبو أسامة عند البزار ، وأبو معاوية عند ابن عساكر ، وهما ثقتان من رجال الشيخين ، فلا وجه لترجيح المرسل ، وقد أخرجه عن أبي معاوية الحاكم أيضاً (٢/٦٠٩) ، وقال : «صحيح على شرط الشيخين» ، ووافقه الذهبي . وقال في «مجمع الزوائد» (٩/٤١٦) :

«رواه البزار متصلاً ومرسلاً ، ورجالهما رجال (الصحيح)» .

وروى البيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :

كنا مع رسول الله ﷺ بمكة ، فخرج في بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ![1]

وفي رواية :

لقد رأيتني أدخل معه الوادي ، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليكم يا رسول الله ! وأنا أسمعه .

ومضى قريباً[2] حديث مسلم :

«إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن» .

---

(١) ورواه الحاكم (٢/٦٢٠) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وإنما هو حسن فقط ، ورواه أبو نعيم (ص١٣٨) ، وخالف في بعض رجاله .

(٢) (ص ٨٨) .

فصــل

وفي «الصحيحين» عن جابر بن عبدالله قال : سمعت رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي قال :

«فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء . . . فَجَثيتُ منه فَرَقاً حتى هويت إلى الأرض ، فجئت أهلي فقلت : زمّلوني زمّلوني . فأنزل الله : ﴿**يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر**﴾ [المدثر : ١ ـ ٥] .

قال : ثم حمي الوحي وتتابع»[1] .

فهذا كان أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي لا مطلقاً ، ذاك قوله : ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾[2] .

وقد ثبت عن جابر : أن أول ما نزل : ﴿**يا أيها المدثر**﴾ ، واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه ؛ فإن في سياق كلامه ما يدل على تقدم مجيء الملك الذي عرفه ثانياً بما عرفه به أولاً إليه . ثم قوله : «يحدث عن فترة الوحي» دليل على تقدم الوحي على هذا الإيحاء . والله أعلم .

وقد ثبت في «الصحيحين» عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة ابن عبدالرحمن : أي القرآن أنزل قبلُ؟ فقال : ﴿**يا أيها المدثر**﴾ .

فقلت : و﴿**اقرأ باسم ربك**﴾؟

---

(١) تقدم (ص ٨٦) .

(٢) يعني : حديث عائشة المتقدم (ص ٨٤ - ٨٦) ، وهو صريح في ذلك .

فقال : سألت جابر بن عبدالله : أيّ القرآن أنزل قبل؟ فقال : ﴿**يا أيها المدثر**﴾ . فقلت : و﴿**اقرأ باسم ربك**﴾؟ فقال : قال رسول الله ﷺ :

«إني جاورت بـ (حراء) شهراً ، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي ، فنوديت ، فنظرت بين يدي وخلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، فلم أرَ شيئاً ، ثم نظرت إلى السماء ؛ فإذا هو على العرش في الهواء ، فأخذتني رعدة ـ أو قال : وحشة ـ فأتيت خديجة ، فأمرتهم فدثروني ، فأنزل الله : ﴿**يا أيها المدثر**﴾ حتى بلغ : ﴿**وثيابك فطهر**﴾» .

وفي رواية :

«فإذا المَلَك الذي جاءني بـ (حراء) جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فجثيت منه» .

وهذا صريح في تقدم إتيانه إليه ، وإنزاله الوحي من الله عليه ؛ كما ذكرناه . والله أعلم .

ومنهم من زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة : ﴿**والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى**﴾ إلى آخرها . وهو قول بعيد يرده ما تقدم من رواية صاحبي «الصحيح» ؛ من أن أول القرآن نزولاً بعد فترة الوحي : ﴿**يا أيها المدثر . قم فأنذر**﴾ ، ولكن نزلت سورة (**والضحى**) بعد فترة أخرى كانت ليالي يسيرة ؛ كما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما عن جندب بن عبدالله البجلي قال :

اشتكى رسول الله ﷺ ؛ فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً ، فقالت امرأة : ما أرى شيطانك إلا تركك . فأنزل الله : ﴿**والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى**﴾ .

وبهذا الأمر حصل الإرسال إلى الناس ، وبالأول حصلت النبوة .

* * *

ثم حمي الوحي بعد هذا وتتابع ؛ أي : تدارك شيئاً بعد شيء .

وقام حينئذٍ رسول الله ﷺ في الرسالة أتم القيام ، وشمر عن ساق العزم ، ودعا إلى الله القريب والبعيد ، والأحرار والعبيد ، فآمن به حينئذٍ كل لبيب نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد .

فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق .

ومن الغلمان علي بن أبي طالب .

ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام .

ومن الموالي مولاه زيد بن حارثة الكلبي ؛ رضي الله عنهم وأرضاهم .

فصل

في منع الجان ومَرَدَة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن لئلا يختطف أحدهم منه ولو حرفاً واحداً فيلقيه على لسان وليه فيلتبس الأمر ويختلط الحق

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أن حجبهم عن السماء ؛ كما قال الله تعالى إخباراً عنهم في قوله : ﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾ [الجن : ٨ ـ ١٠] .

وقال تعالى : ﴿وما تَنَزَّلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون﴾ [الشعراء : ٢١٠ ـ ٢١٢] .

وروى الحافظ أبو نعيم عن ابن عباس قال :

كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي ، فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعاً ، فأما الكلمة فتكون حقاً ، وأما ما زادوا فتكون باطلاً .

فلما بعث النبي ﷺ منعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ـ ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك ـ فقال لهم إبليس : هذا لأمر قد حدث في الأرض .

فبعث جنوده ، فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين ، فأتوه فأخبروه ، فقال : هذا الأمر الذي حدث في الأرض[1] .

وعنه قال :

انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلتْ عليهم الشهب ، فرجعَت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسِلتْ علينا الشهب . فقالوا : ما ذاك إلا من شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، [فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟! فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها] .

فمر النفر الذين أخذوا نحو (تهامة) ـ وهو بـ (نخل) ـ عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء .

فرجعوا إلى قومهم ، فقالوا : يا قومنا **﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً . يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾** ، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ : **﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾** .

---

(١) لم أره في «الدلائل» المطبوعة لأبي نعيم ، وهو رواه عن الطبراني ، ورجاله ثقات رجال «الصحيح» ؛ غير شيخه عبدالله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ؛ لكنه قد توبع ، فأخرجه أحمد (٢٧٤/١) : ثنا أبو أحمد : ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به . وقد توبع أبو إسحاق في الرواية التالية .

أخرجاه في «الصحيحين»[1] .

وروى أبو بكر بن أبي شيبة عنه قال :

إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع ، فإذا نزل الوحي ؛ سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديد ألقيتها على الصفا ، قال : فإذا سمعت الملائكة خروا سجداً ، فلم يرفعوا رؤوسهم حتى ينزل ، فإذا نزل ؛ قال بعضهم لبعض : **﴿ماذا قال ربكم﴾**؟ فإن كان مما يكون في السماء **﴿قالوا الحقَّ وهو العلي الكبير﴾** ، وإن كان مما يكون في الأرض من : أمر الغيب ، أو موتٍ ، أو شيء مما يكون في الأرض تكلموا به ، فقالوا : يكون كذا وكذا . فتسمعه الشياطين ، فينزلونه على أوليائهم .

فلما بُعِثَ النبي محمد ﷺ دُحِروا بالنجوم ، فكان أول من علم بها ثقيف ، فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه ، فيذبح كل يوم شاة ، وذو الإبل فينحر كل يوم بعيراً ، فأسرع الناس في أموالهم . فقال بعضهم لبعض : لا تفعلوا ؛ فإن كانت النجوم التي يهتدون بها وإلا فإنه لأمر حدث . فنظروا ؛ فإذا النجوم التي يُهتدَى بها كما هي لم يَزُلْ منها شيء ، فكفوا .

---

(١) قلت : والسياق لمسلم (٢/٣٥ - ٣٦) ، والزيادة له وللبخاري أيضاً ، وقد أخرجه في «الصلاة» (٧٧٣) و«التفسير» (٤٩٢١) ، وكذا أحمد (١/٢٥٢) ؛ ثلاثتهم عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . وتابعه سماك عن سعيد بن جبير به نحو رواية أبي نعيم المتقدمة ، واستدركه الحاكم (٢/٥٠٣) على الشيخين من طريق أبي عوانة ، وتبعه الذهبي ، فوهما .

وصرف الله الجن فسمعوا القرآن ، ﴿**فلما حضروه قالوا أنصتوا**﴾ .

وانطلقت الشياطين إلى إبليس فأخبروه ، فقال : هذا حَدَثٌ حَدَثَ في الأرض ، فأتوني من كل أرض بتربة ، فأتوه بتربة تِهامة ، فقال : ها هنا الحدث .

ورواه البيهقي والحاكم عن عطاء بن السائب[1] .

وثبت في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه [من الأنصار] ، فَرُمي بنجم عظيم فاستنار ، قال :

«ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟» .

قال : كنا نقول : يولد عظيم ، أو يموت عظيم ـ قال معمر : قلت للزهري : أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال : نعم ؛ ولكن غلظت حين بعث النبي ﷺ ـ قال :

«فإنه لا يرمى بها لموت أحد ، ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش ، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ﴿**ماذا قال ربكم**﴾؟ فيخبرونهم ، ويخبر أهل كل سماء سماءً ؛ حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء ، ويخطف الجن السمع

(١) قلت : وهو ثقة من رجال البخاري ، وكان اختلط .

فيرمُون ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يقرفون [فيه] ويزيدون»[1] .

[المستدرك]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال :

«إذا قضى الله الأمر في السماء ؛ ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعاناً لقوله ؛ كأنه سلسلة على صفوان [ينفذهم ذلك] ، فـ **﴿إذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا﴾** للذي قال : **﴿الحقَّ وهو العلي الكبير﴾** [سبأ : ٢٣] . فيسمعها مسترقـ [وا] السمع ، ومسترقـ [وا] السمع هكذا : بعضه فوق بعض ـ ووصف سفيان بكفه ؛ فحرفها وبَدَّدَ (وفي لفظ : وفرَّج) بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة ، فيلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرك الشهابُ [المستمعَ] قبل أن يُلقِيَها [إلى صاحبه فيُحرق] ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ، فَيُصَدَّق بتلك الكلمة التي سمع من السماء» .

---

(١) قلت : أخرجه أحمد (٢١٨/١) ، والسياق له ، ومسلم (٣٦/٧ - ٣٧) ، ولكنه زاد في السند : «قال : أخبرني رجل ، وفي رواية : رجال من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار» .

واعلم أن الحديث لم يكن في الأصل بتمامه ، وإنما طرفه الأول فقط نحوه إلى قوله : «ولكن» ، وأحال في باقيه بقوله عقبه :

«فذكر الحديث كما ذكرنا عند خلق السماء وما فيها من الكواكب في أول (بدء الخلق)» .

يعني : (٦٧/١) ، ولم يسق لفظه هناك مطلقاً ، وإنما أحال به على حديث قبله ، وهو حديث أبي هريرة الآتي بعده .

أخرجه البخاري[1] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال لهم رسول الله ﷺ :

«ليسوا بشيء» .

قالوا : يا رسول الله ! فإنهم يحدثون أحياناً الشيء يكون حقّاً ؟ قال رسول الله ﷺ :

«تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني ، فَيَقُرُّها في أذن وليه قَرَّ الدجاجة ، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة» .

أخرجه الشيخان[2] . [انتهى المستدرك] .

(١) رقم (٤٧٠١ و٤٨٠٠ و٧٤٨١) ، ورواه الترمذي ، وابن خزيمة ، وغيرهما ، وهو مخرج في «الصحيحة» (١٢٩٣) .

(٢) البخاري (٥٧٦٢) ، ومسلم (٣٦/٧) ، وأحمد (٨٧/٦) .

فصل

في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله ﷺ

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرة ، وثاني مرة أيضاً .

وعن عائشة رضي الله عنها :

أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ قال :

يا رسول الله ! كيف يأتيك الوحي؟ فقال :

«أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليَّ ؛ فينفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً يكلمني ؛ فأعي ما يقول» .

قالت عائشة رضي الله عنها :

ولقد رأيته ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ؛ فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً .

أخرجاه في «الصحيحين» ، وأحمد[1] .

وفي حديث الإفك قالت عائشة :

فوالله ؛ ما رام رسول الله ﷺ ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرحاء ، حتى إنه كان يتحدَّر منه مثل الجُمان

---

(١) البخاري (رقم ٢ و٣٢١٥) ، ومسلم (٨٢/٧) ، وأحمد (١٥٨/٦ و١٦٣ و٢٥٧) ، وأخرجه مالك في (القرآن) ، والنسائي في (الافتتاح) ، والترمذي في (المناقب) ، وأبو نعيم في «الدلائل» (٧٢) .

من العرق ـ وهو في يوم شاتٍ ـ من ثقل الوحي الذي أنزل عليه[١] .

وفي «صحيح مسلم» وغيره عن عبادة بن الصامت قال :

كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك ، وتربّد وجهه[٢] . (وفي رواية : وغمض عينيه ، وكنا نعرف ذلك منه) .

وفي «الصحيحين»[٣] حديث زيد بن ثابت حين نزلت : ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين**﴾ [النساء : ٩٥] ، فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت : ﴿**غير أولي الضرر**﴾ .

قال : وكانت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي ، وأنا أكتب ، فلما نزل الوحي كادت فخذه ترض فخذي .

وفي «صحيح مسلم»[٤] عن يعلى بن أمية قال : قال لي عمر :

أيسرك أن تنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه

---

(١) هو طرف من حديث عائشة الطويل في قصة الإفك ؛ رواه البخاري (٤١٤١) ، ومسلم (١١٣/٨ - ١١٨) وغيرهما ، وسيسوقها المؤلف بتمامها في (غزوة بني المصطلق) من رواية ابن إسحاق ، وله شاهد من حديث زيد بن ثابت مخرج في «الصحيحة» (٢٠٨٨) .

(٢) مسلم (١١٥/٥) ، وفي (الفضائل) أيضاً ، وأحمد (٣١٧/٥ و٣١٨ و٣٢١ و٣٢٧) ، وأبو نعيم (ص٧٢) ، وأما الرواية الأخرى فلم أجدها الآن ؛ بل صح خلافها كما يأتي (ص ١٠٩) .

(٣) هذا وهم ؛ فليس الحديث في «مسلم» ، وهو ما صرح به المؤلف في «التفسير» ، وهو عند البخاري (٤٥٩٢) عن زيد بن ثابت .

(٤) في أول (كتاب الحج) ، وصنيعه يشعر أنه من أفراد مسلم ، وليس كذلك ؛ فقد أخرجه البخاري أيضاً في أول (العمرة) (رقم ١٧٨٩) ، وانظر : «مختصر البخاري» (٨٦٧) .

وهو يوحى إليه بـ (الجعرانة) ؛ فإذا هو محمر الوجه ، وهو يغط كما يغط البَكر .

وثبت في «الصحيحين»[1] من حديث عائشة لما نزل الحجاب ، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى (المناصع)[2] ليلاً ، فقال عمر : قد عرفناك يا سودة ! فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فسألته وهو جالس يتعشى والعَرْقُ[3] في يده ، فأوحى الله إليه ، [ثم رفع عنه] ، والعَرْق في يده [ما وضعه] ، ثم رفع رأسه فقال : «إنه قد أذن لَكُنَّ أن تخرجن لحاجتكن» .

فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه إحساسه بالكلية ؛ بدليل أنه جالس ، ولم يسقط العَرْق أيضاً من يده ؛ صلوات الله وسلامه دائماً عليه .

وروى أبو يعلى عن الفَلَتان[4] بن عاصم قال : كنا عند رسول الله ﷺ وأُنزل

---

(١) هذا وهم أيضاً ؛ فإنه من أفراد البخاري ، لم يخرجه مسلم بهذا اللفظ ، وهو ملفق من روايتين عند البخاري : الأولى في (الطهارة)(١٤٦) ، والأخرى في (التفسير) (٤٧٩٥) ، وهي أتم ، وليس فيها ولا في غيرها : «ثم رفع رأسه» ، والزيادتان منها ، ورواها أحمد (٥٦/٦) .

(٢) زاد في الرواية الأولى : «وهو صعيد أفيح» . قال الحافظ : «وهي أماكن معروفة من ناحية البقيع» .

(٣) [«العَرْقُ» : جَمْعُهُ عُرَاقٌ ؛ وهي العِظامُ التي يُقْشَرُ عنها معظمُ اللحم ويبقى عليها بَقِيَّةٌ] . الناشر .

(٤) الأصل : «العِليان» ، وفي «المجمع» : «الغلبان» !! وكل ذلك خطأ ، والتصويب من «الإصابة» و«الدر المنثور» ، وقد تحرف هذا الاسم في حديث آخر على وجه آخر تقدم (ص٧٤) ، وقال الهيثمي : (٩/٨) : «رواه أبو يعلى والبزار والطبراني ، ورجال أبي يعلى ثقات» ، ورواه ابن أبي شيبة أيضاً في «مسنده» ، وصححه ابن حبان ، وهو كما قال ، والزيادة من «المجمع» وغيره ، والحديث خلاف قوله في الرواية المتقدمة (ص ١٠٧) : «وغمض عينيه» .

عليه ، وكان إذا أُنزل عليه دام بصره وعيناه مفتوحة ، وفرغ سمعه وقلبه لِمَا يأتيه من الله عز وجل ، [فكنا نعرف ذلك منه] .

وروى أحمد وأبو نعيم عن أسماء بنت يزيد قالت :

إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ إذ نزلت عليه (المائدة) كلها ، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة[1] .

وروى أحمد أيضاً عن عبدالله بن عمرو قال :

أنزلت على رسول الله ﷺ سورة (المائدة) وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله ، فنزل عنها[2] .

وروى ابن مردويه عن أم عمرو عن عمها :

أنه كان في مسير مع رسول الله ﷺ ، فنزلت عليه سورة (المائدة) ، فاندَقَّ عنق الراحلة من ثقلها .

وهذا غريب من هذا الوجه[3] .

---

(١) «المسند» (٤٥٥/٦) ، وإسناده حسن بما بعده ، ورواه عبد بن حميد أيضاً ، وابن جرير ، وابن نصر في «الصلاة» ، والطبراني ، والبيهقي في «الشعب» ؛ كما في «الدر» .

(٢) «المسند» (١٧٦/٢) ، وإسناده حسن بما قبله وبعده ، وفي «المجمع» (١٣/٨) : «رواه أحمد ، وفيه ابن لهيعة ، والأكثر على ضعفه ، وقد يحسن حديثه ، وبقية رجاله ثقات» .

(٣) قلت : لأن فيه صباح بن سهل ، وهو ضعيف ؛ كما قال الدارقطني وغيره ، ولعل ذلك لا يضر حديثه في الشواهد كما هنا ، وقد أخرجه ابن أبي شيبة في «مسنده» ، والبغوي في «معجمه» ، والبيهقي في «دلائل النبوة» .

ثم قد ثبت في «الصحيحين» نزول سورة (الفتح) على رسول الله ﷺ مرجعه من الحديبية وهو على راحلته ، فكان يكون تارة وتارة ، بحسب الحال[1] . والله أعلم .

(١) قلت : ويمكن أن يقال : إن عدم ذكر الثقل في هذا الحديث لا يلزم منه أنه لم يقع في هذه القصة ؛ بل من المحتمل أنه وقع فيها ثم لم يذكره الراوي لسبب ما ؛ كما لم يذكر فيه الشدة المذكورة في بعض الأحاديث المتقدمة وغيرها ؛ كحديث ابن عباس الآتي وحديث ابن مسعود قال :

أقبلنا مع رسول الله ﷺ من الحديبية . . . قال : وضلت ناقة رسول الله ﷺ ، فطلبها ، فوجدتُ حبلها قد تعلق بشجرة ، فجئت بها إلى النبي ﷺ ، فركب مسروراً ، وكان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي اشتد ذلك عليه ، وعرفنا ذاك فيه ، قال : فتنحى منتبذاً خلفنا . قال : فجعل يغطي رأسه بثوبه ، ويشتد ذلك عليه ، حتى عرفنا أنه قد أُنزل عليه ، فأتانا ، فأخبَرَنا أنه قد أنزل عليه : ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ . أخرجه أحمد (١/٤٦٤) بإسناد جيد .

فصــل

قال الله تعالى : ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جَمْعَهُ وقرآنَه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه**﴾ [القيامة : ١٦ - ١٩] .

وقال تعالى : ﴿**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضَى إليك وحيه وقل رب زدني علماً**﴾ [طه : ١١٤] .

وكان هذا في الابتداء ؛ كان عليه الصلاة والسلام من شدة حرصه على أخذه من المَلَك ما يوحى إليه عن الله عز وجل يسابقه[1] في التلاوة ، فأمره الله تعالى أن ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي ، وتكفل له أن يجمعه في صدره ، وأن ييسر عليه تلاوته وتبليغه ، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه ، ويوقفه على المراد منه .

ولهذا قال : ﴿**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً**﴾ .

وقوله : ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه**﴾ ؛ أي : في صدرك ، ﴿**وقرآنه**﴾ ؛ أي : وتقرأه ، ﴿**فإذا قرأناه**﴾ ؛ أي : تلاه عليك المَلَكُ ، ﴿**فاتبع قرآنه**﴾ ؛ أي : فاستمع له وتدبره ، ﴿**ثم إن علينا بيانه**﴾ ؛ وهو نظير قوله : ﴿**وقل رب زدني علماً**﴾ .

---

(١) الأصل : «ليساوقه» ، ولعل الصواب ما أثبته ، ونحوه في «التفسير» .

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك شفتيه ، فأنزل الله : ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه**﴾ ؛ قال : جمعه في صدرك ثم تقرأه ، ﴿**فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**﴾ : فاستمع له وأنصت ، ﴿**ثم إن علينا بيانه**﴾ ؛ قال : فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل .

فصــل

قال ابن إسحاق : ثم تتامَّ[1] الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو مصدق بما جاء منه ، وقد قبله بقبوله ، وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم .

وللنبوة أثقال ومؤونة لا يحملها ولا يستضلع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل ـ بعون الله وتوفيقه ـ لما يلقون من الناس ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاؤوا به عن الله عز وجل .

فمضى رسول الله ﷺ على ما أمر الله به على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى .

قال ابن إسحاق : وآمنت خديجة بنت خويلد ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله ورسوله ، وصدقت بما جاء منه .

فخفف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئاً يكرهه ـ من ردٍّ عليه ، وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ـ إلا فرج الله عنه بها ؛ إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رضي الله عنها وأرضاها .

قال : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن جعفر قال : قال رسول الله ﷺ :

«أمرتُ أن أبشر خديجة ببيت من قَصَب ؛ لا صخب فيه ولا نصب» .

---

(١) الأصل «تتابع» ، والتصويب من «السيرة» (١/٢٥٦) . [و«تَتَامَّ» : جاء في اكتمال] . الناشر .

وهذا الحديث مخرج في «الصحيحين» من حديث هشام[1] .

قال ابن هشام : (القَصَب) ها هنا : اللؤلؤ المجوف .

---

(١) هذا يوهم أنه عندهما من حديث هشام عن أبيه عن عبدالله بن جعفر ، وليس كذلك ، وإنما هو عندهما بهذا السند عن عائشة ، وهكذا أورده المؤلف في (موت خديجة) رضي الله عنها . وقد أخرجاه من حديث ابن أبي أوفى وأبي هريرة أيضاً ، وهو مخرج مع حديث عبدالله ابن جعفر في «الصحيحة» (١٥٥٤) ، ومضى من حديث جابر (ص ٩٤) .

فصــل
في ذكر من أسلم ثم ذكر متقدمي الإسلام من الصحابة وغيرهم

روى ابن إسحاق عن إياس بن عُفيف عن أبيه عُفَيف ـ وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس لأمه ـ أنه قال :

كنت امرءاً تاجراً ، فقدمت (منىً) أيام الحج ، وكان العباس بن عبدالمطلب امرءاً تاجراً ، فأتيته أبتاع منه .

قال : فبينا نحن إذ خرج رجل من خِباء ، فقام يصلي تجاه الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت تصلي ، وخرج غلام فقام يصلي معه .

فقلت : يا عباس ! ما هذا الدين؟! إن هذا الدين ما أدري ما هو؟!

فقال : هذا محمد بن عبدالله يزعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به .

قال عفيف : فليتني كنت آمنت يومئذٍ فكنت أكون رابعاً[1] .

---

(١) الأصل : «ثانياً» ، والتصويب من «تاريخ ابن جرير» .

ثم إن هذه الرواية ليست في كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام ؛ فإنها من روايته عن زياد بن عبدالله البكّائي عن ابن إسحاق ؛ كما في «مقدمته» ، وهذه من رواية يونس بن بكير عنه ـ أعني : ابن إسحاق ؛ كما ذكر المؤلف في الأصل ـ وعنه أخرجه ابن جرير (٢/٣١١) ، وإسناده ضعيف ؛ إياس بن عفيف مجهول ؛ أشار إلى ذلك الذهبي بقوله : «ما روى عنه سوى ابنه =

وفي رواية عنه قال :

إذ خرج رجل من خباء قريب منه ، فنظر إلى الشمس[1] ، فلما رآها قد مالت قام يصلي . . . ثم ذكر قيام خديجة وراءه .

وروى ابن جرير بسنده عن يحيى بن عفيف [عن عفيف][2] قال :

جئت زمن الجاهلية إلى (مكة) ، فنزلت على العباس بن عبدالمطلب ، فلما طلعت الشمس ، وحلقت في السماء ـ وأنا أنظر إلى الكعبة ـ أقبل شاب ، فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة ، فقام مستقبلها ، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب ، فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشاب ، فرفع الغلام والمرأة ، فخر الشاب ساجداً ، فسجدا معه .

فقلت : يا عباس ! أمر عظيم ! فقال : أمر عظيم؟! أتدري من هذا؟ فقلت : لا . فقال : هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ؛ ابن أخي . أتدري من الغلام؟ قلت :لا . قال : هذا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أتدري من هذه المرأة التي خلفهما؟ قلت : لا . قال : هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي . وهذا حدثني أن ربك رب السماء والأرض أمره بهذا الذي تراهم عليه ، وايم الله ؛ ما

= إسماعيل» ، ونحوه ابنه إسماعيل ، ومع ذلك ذكرهما ابن حبان في «الثقات» ؛ لكنهما قد توبعا ؛ كما يأتي من رواية ابن جرير أيضاً .

(١) الأصل : «السماء» ، والتصويب من «المسند» (١/٢٠٩) .

(٢) سقطت من الأصل ، واستدركتها من «ابن جرير» .

أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة[1] .

وروى ابن جرير أيضاً عن ابن عباس قال :

أول من صلى عَلِيٌّ[2] .

---

(١) قلت : أخرجه ابن جرير في «التاريخ» (٣١١/٢) من طريق أسد بن عبدة البجلي عن يحيى بن عفيف به .

وهذا إسناد ضعيف كسابقه في الجهالة ؛ فإن يحيى بن عفيف لم يوثقه غير ابن حبان ، وقال الحافظ ابن حجر : «مقبول» . وأسد بن عبدة كذا وقع في هذه الرواية ؛ وإنما هو ابن عبدالله ؛ كما في «الميزان» و«التهذيب» ، وذكر أنه روى عنه جمع ، وكان أميراً على خراسان جواداً ممدحاً ؛ قال البخاري : «لم يتابع على حديثه» ، وذكره ابن حبان في «الثقات» ، وقال في «التقريب» : «في حديثه لين» .

قلت : فهو إسناد لا بأس به في الشواهد والمتابعات ، وكأنه لذلك اعتبر به الحاكم ؛ فقد أشار إليه في قوله عقب الطريق السابق :

«هذا حديث صحيح الإسناد ، وله شاهد معتبر من أولاد عفيف بن عمرو» . ووافقه الذهبي .

وساقه ابن عبدالبر في «الاستيعاب» من الوجهين ، وقال :

«حديث حسن جداً» .

وأقره الحافظ في «الإصابة» ، وعزاه من الوجه الآخر للبغوي وأبي يعلى والنسائي في «الخصائص» ، ووقع فيه : «أسد بن وداعة» ، وهو خطأ مطبعي ، وقال في «المجمع» (١٠٣/٩) : «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بأسانيد ، ورجال أحمد ثقات . قلت : يأتي حديث ابن مسعود كذلك في (مناقب خديجة)» . وهذا الشاهد عنده (٢٢٢/٩) من رواية الطبراني .

(٢) «تاريخ ابن جرير» (٣١٠/٢) ، وإسناده ضعيف ؛ لكن له شاهد من حديث علي نفسه : أنا أول من صلى مع رسول الله ﷺ . أخرجه أحمد (١٤١/١) بسند حسن ، وقال الهيثمي (١٠٣/٩) : «ورجاله رجال «الصحيح» ؛ غير حبة العرني ، وقد وثق» ، ومن حديث زيد بن أرقم قال : أول من صلى مع رسول الله ﷺ علي رضي الله عنه . قال عمرو بن مرة : فذكرت ذلك لإبراهيم ، فأنكر ذلك ، وقال : أبو بكر رضي الله عنه . أخرجه ابن جرير ، وأحمد (٣٦٨/٤ و٣٧٠) ، وإسناده صحيح ، ورواه ابن جرير أيضاً بنحوه ، وهو الآتي في الكتاب بعده .

وعن جابر قال :

بُعِث النبي ﷺ يوم الاثنين ، وصلى عَلِيٌّ يوم الثلاثاء[1] .

وعن زيد بن أرقم قال :

أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب .

قال [عمرو بن مرة] : فذكرته للنخعي ، فأنكره ، وقال : أبو بكر أول من أسلم[2] .

---

(١) رواه ابن جرير بإسناد ضعيف أيضاً ؛ لكن يقويه أن له شاهداً من حديث بريدة رضي الله عنه به . أخرجه الحاكم (١١٢/٣) وقال : «صحيح الإسناد» . ووافقه الذهبي . ثم ذكر له شاهداً من حديث مسلم الملائي عن أنس مثله . ومسلم هو ابن كيسان ، وهو ضعيف ، ومن طريقه أخرجه أبو يعلى ؛ لكن جعله من (مسند علي) نفسه ؛ كما في «المجمع» (١٠٢/٩) .

(٢) قلت : أخرجه ابن جرير ، وصححه الترمذي (٣٧٣٥) ، وأحمد (٣٦٨/٤ و٣٧١) ، وابن سعد (٢١/٣ و١٧١) ، والطبراني في «الأوائل» (رقم ٣٨ - نسختي) ، وإسناده صحيح ، وله لفظ آخر ذكرته قريباً ، ويشهد له حديث ابن عباس قال : أول من أسلم علي رضي الله عنه . أخرجه الطبراني في «الأوائل» (٣٧) ، وفيه عثمان الجزري ؛ قال الهيثمي (١٠٢/٩) : «رواه الطبراني ، وفيه عثمان الجزري ، ولم أعرفه» .

قلت : قد ترجمه ابن أبي حاتم (١٧٤/٦) ، وروى عن الإمام أحمد أنه قال : «روى أحاديث مناكير ، زعموا أنه ذهب كتابه» .

وأنا أظن أنه عثمان الطويل ؛ فإنه من هذه الطبقة وجزري ؛ قال في «اللسان» : «عثمان الطويل من أهل الجزيرة ، عداده في أهل البصرة ، يروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، ربما أخطأ ، روى عنه شعبة وزهير . هكذا قال ابن حبان في (الثقات)» . وله طريق أخرى عن ابن عباس بزيادة : «بعد خديجة» . أخرجه ابن سعد (٢١/٣) ، وسنده حسن ، ورواه الترمذي (٣٧٣٤) ، وابن جرير (٣١٠/٢) مختصراً . وروى الطبراني في «الأوائل» (٣٦) عن حكيم =

وقال آخرون : أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصديق .

والجمع بين الأقوال كلها : إن خديجة أول من أسلم من النساء ـ وظاهر السياقات ـ وقبل الرجال أيضاً .

وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة .

وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب ؛ فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور ، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت .

وأول من أسلم من الأحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم ؛ إذ كان صدراً معظماً ، ورئيساً في قريش مكرماً ، وصاحب مال ، وداعية إلى الإسلام ، وكان محبباً متألفاً ، يبذل المال في طاعة الله ورسوله .

وقد ثبت في «صحيح البخاري»[1] عن أبي الدرداء في حديث ما كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الخصومة ، وفيه : فقال رسول الله ﷺ :

«إن الله بعثني إليكم ، فقلتم : كذبتَ . وقال أبو بكر : صدق . وواساني

= الكندي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : «أول هذه الأمة وروداً على نبيها أولها إسلاماً : علي بن أبي طالب» . قال الهيثمي : «رواه الطبراني ، ورجاله ثقات» .

قلت : حكيم هذا هو ابن إسحاق ؛ ترجمه ابن أبي حاتم (٣/٢٠٠) ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، فالظاهر أنه من رجال «ثقات ابن حبان» ، فليراجع . وقد أخرجه الحاكم (٣/١٣٦) من طريق أخرى عن سلمان مرفوعاً ، وفيه سيف بن محمد ؛ كذبوه .

(١) رقم (٣٦٦١ و٤٦٤٠) .

بنفسه وماله . فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ (مرتين)» . فما أوذي بعدها[١] .

وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه .

وقد روى الترمذي وابن حبان عن أبي سعيد قال :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ألست أحق الناس بها؟ ألست أول من أسلم؟ ألست صاحب كذا؟[٢] .

وقد تقدم[٣] رواية ابن جرير عن زيد بن أرقم قال :

---

(١) أي : لما أظهره النبي ﷺ لهم من تعظيمه . قال الحافظ في «الفتح» (٢٦/٧) : «لم أر هذه الزيادة : «فما أوذي بعدها» من غير رواية هشام بن عمار» .

يشير إلى أنها شاذة ، وهي حرية بذلك ، فالحديث عند البخاري في الموضع الثاني المشار إليه آنفاً بدونها عن غير هشام من الثقات ؛ لا سيما وهشام مُتَكَلَّمٌ فيه من جهة حفظه .

(٢) سكت عنه المؤلف فما أحسن ؛ لأن الترمذي نفسه أعله بالإرسال ، وتبعه الحافظ في «الإصابة» ، وقد شرحت ذلك في تعليقي على «الأحاديث المختارة» رقم (١٩) ، وإنما أوردته هنا شاهداً .

(٣) (ص١١٨) ، وهي عنده من رواية جمع من الثقات عن شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم به . وكذلك رواه غيره من المصنفين ممن ذكرنا هناك .

وقد وقع للمؤلف هنا في الأصل وهم فاحش ؛ فإنه قال قبيل هذه الرواية :

«وقال شعبة : عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال :

أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر الصديق .

رواه أحمد والترمذي والنسائي من حديث شعبة ، وقال الترمذي : «حسن صحيح» ، وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة . . .» .

قلت : فهذه الرواية المعزوة للثلاثة لا أصل لها عندهم ، وإنما هي بمثل رواية ابن جرير تماماً ، وكذلك رواه آخرون كما تقدم (ص١١٧) ، وكأنها مما انقلب على المؤلف رحمه الله ؛ كما انقلب على بعض رواته عند الطبراني في «الأوسط» ؛ كما تراه في «المجمع» (٤٣/٩) .

أول من أسلم علي بن أبي طالب .

قال عمرو بن مرة : فذكرته لإبراهيم النخعي ، فأنكره ، وقال : أول من أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وهذا هو المشهور عن جمهور أهل السنة .

وثبت في «صحيح البخاري»[1] عن عمار بن ياسر قال :

رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد[2] ، وامرأتان ، وأبو بكر .

وروى الإمام أحمد[3] وابن ماجه عن ابن مسعود قال :

أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد .

فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما

---

(١) رقم (٣٦٦٠ و٣٨٥٧) ، واستدركه الحاكم (٣/٣٩٣) فوهم .

(٢) قلت : أحدهم بلال ؛ كما في الحديث التالي وغيره . قال الحافظ :

«وفي الحديث : أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقاً ، ولكن مراد عمار بذلك ممن أظهر إسلامه ، وإلا فقد كان حينئذ جماعة ممن أسلم ؛ لكنهم كانوا يخفونه من أقاربهم . وسيأتي قول سعد : إنه كان ثلث الإسلام . وذلك بالنسبة إلى من اطلع على إسلامه ممن سبق إسلامه» .

قلت : ويؤيده أنه صح عن كل من عمرو بن عبسة وأبي ذر أنه قال : إنه كان ربع الإسلام ؛ كما سيأتي عند المؤلف قريباً .

(٣) في «المسند» (١/٤٠٤) ، والحاكم أيضاً (٣/٢٨٤) وقال : «صحيح الإسناد» ، ووافقه الذهبي ، وإنما هو حسن ؛ للخلاف المعروف في عاصم بن أبي النجود .

سائرهم ؛ فأخذهم المشركون ، فألبسوهم أدْرع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ؛ إلا بلالاً ؛ فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأخذوه ، فأعطوه الولدان ، فجعلوا يطوفون به في شعاب (مكة) وهو يقول : أحدٌ أحد .

وثبت في «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي أمامة عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال :

أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بـ (مكة) ، وهو حينئذٍ مستخف ، فقلت : ما أنت؟ قال : «أنا نبي» . فقلت : وما النبي؟ قال : «رسول الله» . قلت : آلله أرسلك؟ قال : «نعم» . قلت : بم أرسلك؟ قال :

«أن تعبد الله وحده لا شريك له ، وتكسر الأصنام ، وتوصل الأرحام» .

قال : قلت : نِعمَ ما أرسلت به ، فمن تبعك على هذا؟

قال : «حر وعبد» . يعني : أبا بكر وبلالاً .

قال : فكان عمرو يقول : لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام .

---

(١) في (كتاب المسافرين) بلفظ آخر أطول من هذا ، وإنما رواه هكذا الحاكم (٣/٦٥) وقال : «صحيح الإسناد» ، ووافقه الذهبي ، وقال ابن عبدالبر في «الاستيعاب» : «ورويناه من وجوه عن أبي أمامة عنه» .

وهو في «المسند» (٤/١١١ و١١٢ و٣٨٥) ، وابن جرير (٢/٣١٥) من طرق عنه مطولاً ومختصراً ، وكذا ابن سعد (٤/٢١٥ - ٢١٨) ، وأبو نعيم (ص٨٦) .

قال : فأسلمت . قلت : فأتبعك يا رسول الله؟ قال : «لا ؛ ولكن الحقْ بقومك ؛ فإذا أخبرت أني قد خرجت فاتبعني» .

ويقال : إن معنى قوله عليه السلام : «حر وعبد» اسم جنس ، وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر ؛ فإنه قد كان جماعة أسلموا قبل عمرو بن عبسة ، وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضاً ، فلعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه ، فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون بإسلامهم ، لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم ، دع الأجانب ، دع أهل البادية من الأعراب . والله أعلم .

وفي «صحيح البخاري»[1] عن سعد بن أبي وقاص قال :

«ما أسلم أحد [إلا] في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام ، وإني لثلث الإسلام» .

أما قوله : «ما أسلم أحدٌ في اليوم الذي أسلمتُ فيه»[2] فسهل ، ويروى : «إلا في اليوم الذي أسلمت فيه» ، وهو مشكل ؛ إذ يقتضي أنه لم يسبقه أحد بالإسلام ، وقد علم أن الصديق وعليّاً وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله ؛ كما قد حكى الإجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد ؛ منهم ابن الأثير .

ونص أبو حنيفة رضي الله عنه على أن كلاً من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه . والله أعلم .

---

(١) رقم (٣٧٢٧ و٣٨٥٨) ، والزيادة في الموضعين منه .

(٢) قلت : هذا اللفظ ليس هو من رواية البخاري ؛ كما عرفت آنفاً ، وإنما هو من رواية الحاكم (٤٩٨/٣) وقال : «صحيح الإسناد» ، ووافقه الذهبي .

وأما قوله : «ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام» فمشكل ، وما أدري على ماذا يوضع عليه؟! إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه[1] . والله أعلم .

وروى الطيالسي وأحمد[2] والحسن بن عرفة عن ابن مسعود قال :

كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بـ (مكة) ، فأتى عليَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وقد فرا من المشركين ، فقال ـ أو : فقالا ـ : عندك يا غلام ! لبن تسقينا؟ قلت : إني مؤتمن ، ولست بساقيكما . فقال : هل عندك من جذعة لم يَنْزُ عليها الفحل بعد؟ قلت : نعم . فأتيتهما بها ، فاعتقلها أبو بكر ، وأخذ رسول الله ﷺ الضرع ودعا ، فحفل الضرع ، وأتاه أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها ، ثم شرب هو وأبو بكر ، ثم سقياني ، ثم قال للضرع : اقلص . فقلص .

فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ ، فقلت : علمني من هذا القول الطيب . يعني : القرآن ، فقال :

«إنك غلام معلَّم» .

فأخذت من فيه سبعين سورة ؛ ما ينازعني فيها أحد .

---

(١) قلت : وهو الذي جزم به الحافظ هنا ، وتقدم عنه مثله في شرح قول عمار : « . . وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر» .

(٢) في «المسند» (٤٦٢/١) ، وإسناده حسن .

ذكر إسلام أبي ذر رضي الله عنه

روى البيهقي عن الحاكم[1] بسنده عن أبي ذر قال :

كنت ربع الإسلام ، أسلم قبلي ثلاثة نفر ، وأنا الرابع ، أتيت رسول الله ﷺ فقلت : السلام عليك يا رسول الله ! أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله ﷺ .

هذا سياق مختصر .

وقد رواه البخاري[2] عن ابن عباس قال :

لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي ؛ فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ثم ائتني .

فانطلق الأخ[3] ، حتى قدمه وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلاماً ما هو بالشعر .

فقال : ما شفيتني مما أردت .

---

(١) قلت : قد أخرجه في «المستدرك» (٣٤٢/٣) ، فكان عزوه إليه أولى ، وله مثل هذا النزول كثير ، وقال الحاكم : «صحيح على شرط مسلم» ، ووافقه الذهبي .

(٢) رقم (٣٥٢٢ و٣٨٦١) ، والسياق للموضع الثاني منهما ، وهو رواية لمسلم (١٥٥/٧ - ١٥٧) ، واستدركه الحاكم (٣٣٨/٣ - ٣٣٩) فوهم .

(٣) هذا لفظ البخاري ، وفي الأصل : «الآخر» ، وهو لفظ مسلم .

فتزود وحمل شَنَّةً [له] فيها ماء ، حتى قدم (مكة) ، فأتى المسجد ، فالتمس رسول الله ﷺ ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعض الليل[1] ، فرآه عليٌّ ، فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ، ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمر به عليٌّ فقال : أما آن للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه ، فذهب به معه ، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء .

حتى إذا كان يوم الثالث فعاد عليٌّ على مثل ذلك ، فأقام معه ، فقال : ألا تحدثني بالذي أقدمك؟ قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدنني فعلتُ . ففعل ، فأخبره . قال : فإنه حق ، وإنه رسول الله ﷺ ، فإذا أصبحت فاتبعني ، فإني إن رأيتُ شيئاً أخاف عليك ؛ قمت كأني أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي . ففعل ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ، ودخل معه ، فسمع من قوله ، وأسلم مكانه ، فقال له النبي ﷺ :

«ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري» .

فقال : والذي نفسي بيده[2] ؛ لأصرخن بها بين ظهرانيهم . فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . ثم قام القوم ، فضربوه حتى أضجعوه[3] ، فأتى العباس ، فأكب عليه ، فقال : ويلكم !

---

(١) زاد مسلم : «فاضطجع» ، وقد زادها محقق الأصل قائلاً في التعليق : «ليست في البخاري» ! ولم يزد !

(٢) الأصل : «والذي بعثك بالحق» ، والتصحيح من «البخاري» و«مسلم» .

(٣) كذا الأصل ، وهو مطابق لرواية مسلم ، وزاد : «على الأرض» ، ولفظ البخاري : «أوجعوه» .

ألستم تعلمون أنه من غفار ؛ وأن طريق تجارتكم إلى الشام؟! فأنقذه منهم .

ثم عاد من الغد لمثلها ، فضربوه وثاروا إليه ، فأكب العباس عليه .

هذا لفظ البخاري .

وقد جاء إسلامه مبسوطاً في «صحيح مسلم» وغيره ، فروى أحمد عن عبدالله بن الصامت [قال :] قال أبو ذر :

خرجنا من قومنا غفار - وكانوا يُحلون الشهر الحرام - أنا وأخي أُنَيْسٌ وأُمُّنا ، فانطلقنا حتى نزلنا على خالٍ لنا ذي مال وذي هيئة ، فأكرمنا خالنا ، وأحسن إلينا ، فحسدنا قومه ، فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك إليهم أنيس . فجاء خالنا فَنَثَى[1] عليه ما قيل له ، فقلت له : أما ما مضى من معروفك ؛ فقد كدرته ، ولا جماع لنا فيما بعد .

قال : فقربنا صِرْمَتَنَا[2] فاحتملنا عليها ، وتغطى خالنا ثَوْبَهُ ، وجعل يبكي .

قال : فانطلقنا حتى نزلنا بِحَضْرَةِ (مكة) ، قال : فَنَافَرَ أنيس [رجلاً] عن صِرْمَتِنا وعن مثلها[3] ، فأتيا الكاهن ، فخيَّر أنيساً ، فأتانا بصرمتنا ومثلها .

وقد صليت يا ابن أخي ! قبل أن ألقى رسول الله ﷺ ثلاث سنين .

---

(١) أي : أظهره وحدث به .

(٢) هي القطعة من الإبل ، وتطلق أيضاً على القطعة من الغنم .

(٣) معناه : تراهن هو وآخر أيهما أفضل؟ وكان الرهن صرمة ذا وصرمة ذاك ، فأيهما كان أفضل أخذ الصرمتين ، فتحاكما إلى الكاهن ، فحكم بأن أنيساً أفضل ، وهو معنى قوله : «فخير أنيساً» ؛ أي : جعله الخيار والأفضل . نووي .

قال : قلت : لمن؟ قال : لله . قال : فأين تَوَجَّهُ؟ قال : حيث وجهني الله . قال : وأصلي عشاء ، حتى إذا كان من آخر الليل أُلْقِيتُ كأني خِفاء[1] حتى تعلوني الشمس .

قال : فقال أنيس : إن لي حاجة بمكة ، فاكفني[2] حتى آتيك .

قال : فانطلق فراث عليَّ ، ثم أتاني ، فقلت : ما حبسك؟ قال : لقيت رجلاً يزعم أن الله عز وجل أرسله على دينك . قال : فقلت : ما يقول الناس له؟ قال : يقولون : إنه شاعر وساحر [وكاهن] . وكان أنيس شاعراً .

قال : فقال : قد سمعت قول الكهان ، فما يقول بقولهم ، وقد وضعت قوله على أقراء الشعر[3] ، فوالله ؛ ما يلتئم لسان أحد أنه شعر ، والله ؛ إنه لصادق ، وإنهم لكاذبون .

قال : فقلت له : هل أنت كافيَّ حتى أنطلق فأنظر؟ قال : نعم ، وكن من أهل (مكة) على حذر ؛ فإنهم قد شَنِفوا له[4] ، وتجهموا له .

قال : فانطلقت حتى قدمت (مكة) ، فتضعفت رجلاً منهم ، فقلت : أين هذا الرجل الذي تدعونه الصابئ؟ قال : فأشار إليَّ . [قال : الصابئ . قال :] فمال أهل الوادي عليَّ بكل مَدَرَةٍ وعظم ، حتى خررت مغشيّاً عليّ ، فارتفعت حين ارتفعت كأني نُصُبٌ أحمر[5] .

---

(١) أي : كساء ؛ وزناً ومعنى .

(٢) الأصل : «فألقني» ، والتصويب من «المسند» و«مسلم» ، والزيادة منهما .

(٣) أي : طرقه وأنواعه .

(٤) الأصل : «شنعوا» ، والتصويب من «المسند» و«مسلم» ؛ أي : أبغضوه .

(٥) أي : من كثرة الدماء .

فأتيت زمزم فشربت من مائها ، وغسلت عني الدم ، ودخلت بين الكعبة وأستارها ، فلبثت به ابنَ أخي ! ثلاثين من بين يوم وليلة ؛ وما لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني ، وما وجدت على كبدي سُخْفة جوع[1] .

قال : فبينا أهل (مكة) في ليلة قمراء إضحيان ، فضرب الله على أصمخة أهل (مكة) ، فما يطوف بالبيت غير امرأتين ، فأتتا عليَّ وهما تدعوان (إساف) (ونائلة) ، فقلت : أنكحوا أحدهما الآخر ! فما ثناهما ذلك ، قال : فأتتا عليَّ ، فقلت : وَهَنٌ مثل الخشبة . غير أني لم أَكْنِ[2] .

قال : فانطلقتا تولولان وتقولان : لو كان ههنا أحد من أنفارنا !

قال : فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل ، فقال : «ما لكما؟» . فقالتا : الصابئ بين الكعبة وأستارها . قالا : «ما قال لكما؟» . قالتا : قال لنا كلمة تملأ الفم !

قال : فجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلم الحجر ، فطاف بالبيت ، ثم صلى .

قال : فأتيته ، فكنت أول من حياه بتحية أهل الإسلام ، فقال : «عليك السلام ورحمة الله[3] ، ممن أنت؟» .

---

(١) بفتح السين وضمها ، وهي : رقة الجوع وضعفه وهزاله .

(٢) الأصل : «وهنٌ مثل الخشبة . غير أني لم أركن» ! والتصويب من «المسند» ، ونحوه في «مسلم» . و(الهن) و(الهنة) بتخفيف نونهما هو : كناية عن كل شيء ، وأكثر ما يستعمل كناية عن الفرج والذكر ، فقال لهما أو مثل الخشبة في الفرج ، وأراد بذلك سب إساف ونائلة وغيظ الكفار بذلك . نووي .

(٣) كذا الأصل ، وفي «المسند» : «عليك ورحمة الله» ، وفي مسلم : «وعليك . . .» .

قال : قلت : من غفار . قال : فأهوى بيده فوضعها على جبهته . قال : فقلت في نفسي : كره أن انتميت إلى غفار . قال : فأردت أن آخذ بيده ، فَقَدَعَنِي[١] صاحبه ، وكان أعلم به مني ، قال :

«متى كنت ههنا؟» .

قال : قلت : كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم . قال :

«فمن كان يطعمك؟» .

قلت : ما كان إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني ، وما وجدت على كبدي سُخْفَة جوع . قال : قال رسول الله ﷺ :

«إنها مباركة ، وإنها طعام طُعم»[٢] .

قال : فقال أبو بكر : ائذن لي يا رسول الله ! في طعامه الليلة . قال : ففعل .

قال : فانطلق النبي ﷺ ، [وانطلق أبو بكر][٣] ، وانطلقت معهما ، حتى فتح أبو بكر باباً ، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف . قال : فكان ذلك أول طعام أكلته بها ، فلبثت ما لبثت ، فقال رسول الله ﷺ :

«إني قد وجِّهتُ إلى[٤] أرض ذات نخل ، ولا أحسبها إلا (يثرب) ، فهل أنت مبلغ عني قومك ؛ لعل الله عز وجل ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟» .

---

(١) أي : كفني ، ووقع في الأصل : «فقذفني» ، وهو خطأ .

(٢) زاد الطيالسي وغيره : «وشفاء سُقم» . وبعضهم يعزوها لمسلم ، وهو وهم .

(٣) سقطت من الأصل ، واستدركتها من «المسند» ، ونحوه في «مسلم» .

(٤) في «مسلم» : «لي» .

قال : فانطلقت حتى أتيت أخي أُنيساً ، قال : فقال لي : ما صنعتَ؟ قال : قلت : إني صنعتُ أني أسلمتُ وصَدَّقْتُ . قال : قال : فما لي رغبة عن دينك ؛ فإني قد أسلمتُ وصَدَّقْتُ .

ثم أتينا أُمَّنا ، فقالت : ما بي رغبة عن دينكما ؛ فإني قد أسلمتُ وصَدَّقْتُ .

فتحملنا حتى أتينا قومنا (غفاراً) ، فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ (المدينة) ، وكان يؤمهم خُفَاف بن[1] إيماء بن رَحَضة ، وكان سيدهم يومئذٍ ، وقال بقيتهم : إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا . فقدم رسول الله ﷺ (المدينة) ، فأسلم بقيتهم .

قال : وجاءت (أسلم) ، فقالوا : يا رسول الله ! إخوانُنا ؛ نُسْلِمُ على الذي أسلموا عليه . فأسلموا ، فقال رسول الله ﷺ :

«(غفار) غفر الله لها ، و(أسلم) سالمها الله»[2] .

ورواه مسلم نحوه ، وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر ، وفيه زيادات غريبة . فالله أعلم .

وتقدم ذكر إسلام سلمان الفارسي في (كتاب البشارات بمبعثه عليه الصلاة والسلام)[3] .

---

(١) سقط من «مسلم» : «خفاف بن» ، وهو رواية لأحمد .

(٢) «مسند أحمد» (١٧٤/٥ - ١٧٥) ، ومسلم (١٥٣/٧ - ١٥٥) ، وأبو نعيم (ص٨٤ - ٨٦) ، ورواه الحاكم (٣٣٩/٣ - ٣٤١) من طريق أخرى عن أبي ذر نحوه . وقال الذهبي : «إسناده صالح» .

(٣) (ص ٦٢) .

ذكر إسلام ضِماد

روى مسلم[١] والبيهقي من حديث ابن عباس قال :

قدم ضماد (مكة) - وهو رجل من أزد شنوءة ، وكان يرقي من هذه الرياح - فسمع سفهاء من سُفَهِ (مكة) يقولون : إن محمداً مجنونٌ . فقال : أين هذا الرجل؟ لعل الله أن يشفيه على يدي . فلقي محمداً ﷺ فقال[٢] : إني أرقي من هذه الرياح ، وإن الله يشفي على يديَّ من شاء ، فهلمَّ . فقال محمد :

«إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (ثلاث مرات)»[٣] .

فقال : والله ؛ لقد سمعت الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ، فهلم يدَكَ أبايعك على الإسلام . فبايعه رسول الله ﷺ فقال له :

«وعلى قومك؟» .

فقال : وعلى قومي .

فبعث النبي ﷺ جيشاً ، فمروا بقوم ضماد ، فقال صاحب الجيش للسرية : هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً؟ فقال رجل منهم : أصبت منهم

(١) (١٢/٣) : وسياقه مخالف لسياق الكتاب ، فالظاهر أنه للبيهقي .

(٢) الأصل : «فلقيت محمداً فقلت» ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) لفظ مسلم : «فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات» .

مُظهرة[1] . فقال : ردها عليهم ؛ فإنهم قوم ضماد .

وفي رواية : فقال له ضماد : أعد علي كلماتك هؤلاء ؛ فلقد بلغن قاموس البحر[2] .

* * *

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء ، حتى فشا أمر الإسلام بـ (مكة) ، وتُحدّث به .

---

(١) كذا الأصل ، وفسره المعلق بقوله : «المظهر : البعير التي أتت عليه الظهيرة وهو يرعى» . والذي في «مسلم» : «مِطهرة» بكسر الميم وفتحها ، والكسر أشهر .

(٢) أي : وسطه ولجته .

باب أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بإبلاغ الرسالة إلى الخاص والعام وأمره له بالصبر والاحتمال والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم وإرسال الرسول الأعظم إليهم وذكر ما لقي من الأذية منهم هو وأصحابه رضي الله عنهم

قال الله تعالى : ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم . الذي يراك حين تقوم . وتقلُّبَك في الساجدين . إنه هو السميع العليم**﴾ [الشعراء : ٢١٤ ـ ٢٢٠] .

وقال تعالى : ﴿**وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون**﴾ [الزخرف : ٤٤] .

وقال تعالى : ﴿**إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد**﴾ [القصص : ٨٥] ؛ أي : إن الذي فرض عليك وأوجب عليك تبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة ، وهي المعاد ، فيسألك عن ذلك ؛ كما قال تعالى : ﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين . عما كانوا يعملون**﴾ [الحجر : ٩٢ و٩٣] .

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً ، وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا «التفسير» ، وبسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة (الشعراء) :

﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ، وأوردنا أحاديث جمة في ذلك .

فمن ذلك ما أخرجه أحمد والشيخان[1] عن ابن عباس قال :

لما أنزل الله : **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** أتى النبي ﷺ (الصفا) ، فصعد عليه ، ثم نادى : «يا صباحاه !» . فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه ؛ وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله ﷺ :

«يا بني عبدالمطلب ! يا بني فهر ! يا بني لؤي ![2] أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟» . قالوا : نعم . قال :

«فإني **﴿نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾** [سبأ : ٤٦]» .

فقال أبو لهب ـ لعنه الله ـ : تباً لك سائر اليوم ! أما دعوتنا إلا لهذا؟! وأنزل الله عز وجل : **﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾** .

وأخرج أحمد[3] ـ والسياق له ـ والشيخان عن أبي هريرة قال :

لما نزلت هذه الآية : **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** [الشعراء : ٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشاً ، فعم وخصَّ ، فقال :

---

(١) أحمد (١/٢٨١ و٣٠٧) ، والبخاري (١٣٩٤ و٣٥٢٥ و٣٥٢٦ و٤٧٧٠ و٤٨٠١ و٤٩٧١ و٤٩٧٢ و٤٩٧٣) ، ومسلم (رقم ٣٥٥ و٥٥٦ - عبدالباقي) ، وابن جرير أيضاً (٣١٩/٢) .

(٢) الأصل : «بني كعب» ، والتصويب من «المسند» ، والسياق له ، وكذلك وقع عند البلاذري من وجه آخر عن ابن عباس ؛ كما في «الفتح» (٨/٥٠٢) .

(٣) في «المسند» (٢/٣٦٠ و٥١٩) ، ومسلم (٣٤٨) من طريق موسى بن طلحة ، وأحمد أيضاً (٢/٣٥٠ و٣٩٨ و٤٤٨) ، والبخاري (٢٧٥٣ و٣٥٢٧ و٤٧٧١) ، ومسلم (٣٥١) من طرق أخرى ؛ كلهم عن أبي هريرة .

«يا معشر قريش! أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب [بن لؤي]! أنقذوا أنفسكم من النار، [يا بني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار]، يا معشر بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبدالمطلب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد! أنقذي نفسك من النار، فإني - والله - لا أملك لكم من الله شيئاً؛ إلا أن لكم رَحِماً سأبلها ببلالها».

وروى أحمد ومسلم[1] عن عائشة رضي الله عنها قالت:

لما نزلت: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] قام رسول الله ﷺ فقال:

«يا فاطمة بنت محمد! يا صفية بنت عبدالمطلب! يا بني عبدالمطلب! لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم».

وروى الإمام أحمد في «مسنده»[2] عن علي [قال: جمع رسول الله ﷺ - أو: دعا رسول الله ﷺ - بني عبدالمطلب؛ فيهم رهط كلهم يأكل

(١) في «المسند» (٦/١٨٧)، ومسلم (٣٥٠).

(٢) (١/١٥٩)، وإسناده جيد، ورواه ابن جرير (٢/٣٢١).

واعلم أن هذا الحديث لم يسق المؤلف متنه، وإنما أشار إليه كشاهد لمتن حديث آخر أتم وأطول من هذا؛ ساقه من طريق أخرى عن علي، أعرضت عن ذكره لأنه ليس على شرطي؛ لأن في سنده من لم يسم، وفي متنه نكارة. ثم ذكره من رواية ابن جرير - يعني: في «التاريخ» (٢/٣١٩ - ٣٢١) - وفيه شيعي كذاب، ثم من رواية ابن أبي حاتم، وفيه شيعيان ضعيفان، وهي إلى ذلك روايات مختلفة يزيد بعضهم على بعض، وفي بعضها: «أيكم يقضي عني ديني، ويكون خليفتي في أهلي؟». قلت: أنا يا رسول الله! ثم قال المؤلف: =

الجَذَعَة[1]، ويشرب الفَرَق، قال: فصنع لهم مدّاً من طعام، فأكلوا حتى شبعوا، قال: وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغُمَر، فشربوا حتى رووا، وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب، فقال:

«يا بني عبدالمطلب! إني بعثت لكم خاصة؛ وإلى الناس بعامة، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي؟».

قال: فلم يقم إليه أحد، قال: فقمت إليه، وكنت أصغر القوم، قال: فقال: «اجلس»، قال ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه، فيقول لي: «اجلس»، حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي].

[المستدرك]

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت:

لما نزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾؛ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة، وفي يدها فِهْرٌ[2]، وهي تقول:

مذمماً أبينــا ودينه قلينــا وأمره عصينا

= «وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم. وقد روى الإمام أحمد في «مسنده» من حديث عباد بن عبدالله الأسدي، وربيعة بن ناجد عن علي نحو ما تقدم، أو كالشاهد له. والله أعلم».

قلت: حديث ربيعة خيرها إسناداً، وهو هذا الذي سقته، ولا يصلح شاهداً؛ لأنه مختصر جدّاً بالنسبة للمتن الذي ساقه المؤلف، وحديث عباد بن عبدالله الذي أشار إليه مختصر أيضاً عند أحمد (١/١١١) ـ مع ضعف عباد ـ وفيه: «ويكون خليفتي في أهلي». وقد رواه بعض الشيعة بلفظ: «خليفتي من بعدي»، وهو من موضوعاتهم؛ كما كنت بينته في «الضعيفة».

(١) [«الجَذَعَة»: التي يُضَحَّى بها. و«الفَرَق»: إناء. و«دعا بغُمَر»: دعا بقدح]. الناشر.

(٢) [أي: حَجَرٌ]. الناشر.

والنبي ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله ! قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك. فقال رسول الله ﷺ:

«إنها لن تراني».

وقرأ قرآناً، فاعتصم به كما قال [تعالى]، وقرأ: **﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾** [الإسراء: ٤٥]، فوقفتْ على أبي بكر، ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت: يا أبا بكر ! إني أخبرت أن صاحبك هجاني. فقال: لا ورب هذا البيت؛ ما هجاك. فولت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها.

أخرجه الحاكم (٢/٣٦١) وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وابن حبان (٢١٠٣)، وأبو نعيم (ص٦١) من طريق أخرى عن ابن عباس نحوه. وصححه ابن أبي حاتم أيضاً؛ كما في «الدر المنثور» (٤/١٨٦)، وله عنده شاهد من حديث أبي بكر.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ ذات يوم وهو جالس حزيناً؛ قد خضب بالدماء؛ ضربه بعض أهل (مكة)، قال: فقال له: ما لك؟ قال: فقال له:

«فعل بي هؤلاء وفعلوا».

قال: فقال له جبريل عليه السلام: أتحب أن أريك آية؟ قال: «نعم».

قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي، فقال: ادع بتلك الشجرة. فدعاها، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه. فقال: مرها فلترجع. فأمرها

فرجعت إلى مكانها . فقال رسول الله ﷺ :

«حسبي» .

أخرجه أحمد (١١٣/٣) ، وابن ماجه (٤٠٢٨) بسند صحيح[١] .

وعن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي :

أنه مر وصاحب له بـ (أيمن)[٢] وفئة[٣] من قريش قد حلوا أزرهم ؛ فجعلوها مخاريق[٤] يجتلدون بها وهم عراة ، فلما مررنا بهم قالوا : إن هؤلاء قسيسون ؛ فدعوهم .

ثم إن رسول الله ﷺ خرج عليهم ، فلما أبصروه تبددوا ، فرجع رسول الله ﷺ مغضباً حتى دخل ، وكنت أنا وراء الحجرة ، فسمعته يقول :

---

(١) (تنبيه) : نقل محمد فؤاد عبدالباقي عن «الزوائد» أنه قال : «هذا إسناد صحيح إن كان أبو سفيان - واسمه طلحة بن نافع - سمع من جابر» .

كذا قال : «جابر» ! وهو خطأ ، والحديث حديث أنس عند ابن ماجه كأحمد ، وقال الشيخ الساعاتي في «الفتح الرباني» (٢٢١/٢٠) : «لم أقف عليه لغير الإمام أحمد ، ورجاله رجال (الصحيحين)» ! ففاته أنه عند ابن ماجه .

(٢) هو ابن أم أيمن ، وهو أيمن بن عبيد بن زيد ، وكان ممن بقي مع رسول الله ﷺ يوم حنين ولم ينهزم ؛ كما قال ابن عبدالبر . والظاهر أنه تصادف وجود أيمن في هذا المكان ، فشاركهم في عملهم ، أو يكون ذلك قبل إسلامه . والله أعلم . كذا في «الفتح الرباني» .

(٣) كذا في «المسند» ، وفي «النهاية» و«الإصابة» : «فتية» ، ولعله الصواب .

(٤) جمع مخراق ، وهو في الأصل : ثوب يلف ، ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً ؛ كما في «النهاية» .

«سبحان الله ! لا من الله استحيوا ؛ ولا من رسوله استتروا !» .

وأم أيمن عنده تقول : استغفر لهم يا رسول الله !

قال عبدالله : فَبِلأْيٍ ما[4] استغفر لهم .

أخرجه أحمد (١٩١/٤) ، وإسناده صحيح ، ورواه إبراهيم الحربي ، والطبراني ؛ كما في «الإصابة» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟!» . [قالوا : كيف يا رسول الله؟ قال :]

«يشتمون مذمماً ، [وأنا محمد] ، ويلعنون مذمماً ، وأنا محمد» .

أخرجه البخاري (٣٥٣٣) ، والنسائي في «الطلاق» ، وأحمد (٢٤٤/٢ و٣٤٠ و٣٦٦) من طرق عنه . [انتهى المستدرك] .

وعن عبدالرحمن بن جبير بن نُفير عن أبيه قال :

جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً ، فمر به رجل ، فقال : طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ ، والله ؛ لوددنا أنا رأينا ما رأيت ، وشهدنا ما شهدت .

فاستغضب ، فجعلت أعجب ! ما قال إلا خيراً ! ثم أقبل إليه فقال :

ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيَّبه الله عنه ؛ لا يدري لو شهده

---

(٤) أي : بعد مشقة وجهد وإبطاء . «نهاية» .

كيف كان يكون فيه؟! والله ؛ لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام أكبهم الله على مناخرهم في جهنم ؛ لم يجيبوه ولم يصدقوه .

أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم ؛ مصدقين لما جاء به نبيكم ، قد كفيتم البلاء بغيركم؟!

والله ؛ لقد بَعَثَ الله النبي ﷺ على أشد حال بُعِثَ عليها فيه نبيٌّ من الأنبياء ؛ في فترة وجاهلية ؛ ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل ، وفرق بين الوالد وولده ، حتى أن الرجل ليرى والده وولده أو أخاه كافراً - وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان - يعلم أنه إن هلك دخل النار ، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار ، وأنها لَلَّتِي قال الله عز وجل : ﴿**الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً**﴾ [الفرقان : ٧٤] .

أخرجه أحمد (٦/٢ - ٣) ، وابن حبان (١٦٨٤) بسند صحيح رجاله كلهم ثقات .

والمقصود أن رسول الله ﷺ استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهراً ، لا يصرفه عن ذلك صارف ، ولا يرده عن ذلك راد ، ولا يصده عن ذلك صاد ، يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم ، وفي المواسم ومواقف الحج ، يدعو من لقيه من حر وعبد ، وضعيف وقوي ، وغني وفقير ، جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء .

وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداءُ الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية .

وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب ، واسمه عبدالعزى بن عبدالمطلب ، وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان .

وخالفه في ذلك عمه أبو طالب بن عبدالمطلب ، وكان رسول الله ﷺ أحب خلق الله إليه طبعاً ، وكان يحنو عليه ، ويحسن إليه ، ويدافع عنه ويحامي ، ويخالف قومه في ذلك ؛ مع أنه على دينهم وعلى خلتهم ؛ إلا أن الله قد امتحن قلبه بحبه حبّاً طبعيّاً لا شرعيّاً .

وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ؛ إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة ، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه ، ولاجترؤوا عليه ، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه ، **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾** [القصص : ٢٨] ، وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً .

فهذان العمان كافران : أبو طالب وأبو لهب ، ولكن هذا يكون في القيامة في ضحضاح من النار ، وذلك في الدرك الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر ، وتقرأ في المواعظ والخطب ، تتضمن أنه **﴿سيصلى ناراً ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب﴾** [المسد : ٣ و ٤] .

روى الإمام أحمد[1] ، والبيهقي عن ربيعة بن عباد من بني الديل ـ وكان جاهليّاً فأسلم ـ قال :

---

(١) في «المسند» (٣/٤٩٢ و٤/٣٤١) ، والطبراني في «الكبير» (٤٥٨٢) من طريق عبدالرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : أخبرني رجل يقال له : ربيعة بن عباد . . . وهذا إسناد جيد . ثم أخرجاه من طرق أخرى عن ربيعة به ، ويأتي أحدها بعده ، وله شاهد من حديث طارق بن عبدالله المحاربي . أخرجه ابن سعد (٦/٤٢) ، والحاكم (٢/٦١٢) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وابن حبان (١٦٨٣) .

رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق (ذي المجاز) وهو يقول :

«يا أيها الناس ! قولوا : (لا إله إلا الله) تفلحوا» .

والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضيءُ الوجه أحول ، ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب . يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه؟ فقالوا : هذا عمه أبو لهب .

ثم رواه البيهقي[1] من طريق أخرى عن ربيعة الديلي قال :

رأيت رسول الله ﷺ بـ (ذي المجاز) يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول : يا أيها الناس ! لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم .

قلت : من هذا؟ قيل : هذا أبو لهب .

وأما أبو طالب ؛ فكان في غاية الشفقة والحنو الطبيعي ؛ كما سيظهر من صنائعه وسجاياه واعتماده فيما يحامي به عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

وروى البخاري في «التاريخ» ، والبيهقي عن الحاكم[2] من حديث عقيل بن أبي طالب قال :

---

(١) قلت : وفاته أن الإمام أحمد رواه أيضاً (٤٩٢/٣) من هذه الطريق ، وهي عن محمد بن المنكدر عن ربيعة ، وإسناده حسن أيضاً ، وكذا رواه الطبراني (٤٥٨٣ - ٤٥٨٧) .

(٢) قلت : وقد أخرجه في «المستدرك» (٥٧٧/٣) من وجه آخر غير الوجه الذي رواه عند البيهقي ، ومدارهما على طلحة بن يحيى عن موسى بن طلحة : أخبرني عقيل . وإسناده حسن كما بينته في «الصحيحة» (٩٢) ، وأما حديث : «يا عم ! لو وضعوا الشمس في يميني . . .» ؛ فلم أورده هنا لضعفه على شهرته ، وقد بينت ذلك في «الضعيفة» (٩١٣) .

جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا، فانهه عنا. فقال: يا عقيل! انطلق فأتني بمحمد. فانطلقت فاستخرجته من كنس، أو خنس - يقول: بيت صغير - فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فلما أتاهم قال: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم. فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال:

«ترون هذه الشمس؟». قالوا: نعم. قال:

«فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منها بشعلة».

فقال أبو طالب: والله؛ ما كذب ابن أخي قط، فارجعوا.

وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمه؛ مع خلافه إياه في دينه، وقد كان يعصمه حيث لا يكون عمه بما يشاء، لا معقّب لحكمه.

وروى الإمام أحمد، والبخاري[1] عن ابن عباس قال:

قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال:

«لو فعل ذلك لأخذته الملائكة عياناً».

وفي رواية عنه قال:

مر أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصلي، فقال: ألم أنهك أن تصلي يا محمد!

---

(١) في «المسند» (٣٦٨/١)، والبخاري (٤٩٥٨)، والترمذي (٣٤٠٦) وقال: «حسن غريب صحيح».

[فانتهره النبي ﷺ ، فقال له أبو جهل : لم تنهرني يا محمد ! فوالله ؛] لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني .

[قال :] فقال جبريل : ﴿فليدع ناديه . سندع الزبانية﴾ [العلق : ١٧ و١٨] .

[قال : فقال ابن عباس :] والله ؛ لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب .

رواه أحمد[١] ، والترمذي وصححه ، والنسائي[٢] .

وروى أحمد[٣] ، ومسلم ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي عن أبي هريرة قال :

قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟! قالوا : نعم .

قال : فقال : واللات والعزى ؛ لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه بالتراب . فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي ليطأ رقبته . قال : فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه .

قال : فقيل له : ما لك؟ قال : إن بيني وبينه خندقاً من نار ، وهولاً وأجنحة . قال : فقال رسول الله ﷺ :

«لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» .

---

(١) في «المسند» (١/٢٤٨ و٢٥٦ و٣٢٩) ، والزيادات له ، وسنده صحيح ، والترمذي (٣٤٠٧) ، وابن جرير أيضاً (٣٠/٢٥٦ - البابي الحلبي) .

(٢) الأصل : «وصححه النسائي» ، وهو خطأ .

(٣) «المسند» (٢/٣٧٠) ، ومسلم (٢٧٩٧) ، وابن جرير (٣٠/٢٥٦) ، وأشار إليه الترمذي (٥/١١٥) ، وأبو نعيم (ص٦٦) .

قال : وأنزل الله تعالى ـ لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا ـ : ﴿**كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى**﴾ [العلق : ٦ و٧] إلى آخر السورة .

وروى الإمام أحمد[1] ، والبخاري في مواضع من «صحيحه» ، ومسلم عن عبدالله (هو ابن مسعود) قال :

ما رأيت رسول الله ﷺ دعا على قريش ؛ غير يوم واحد ، فإنه كان يصلي ورهط من قريش جلوس ، وسلا جزور قريب منه ، فقالوا : من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره؟ فقال عقبة بن أبي مُعيط : أنا . فأخذه فألقاه على ظهره ، فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره ، فقال رسول الله ﷺ :

«اللهم ! عليك بهذا الملأ من قريش ، اللهم ! عليك بعتبة بن ربيعة ، اللهم ! عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم ! عليك بأبي جهل بن هشام ، اللهم ! عليك بعقبة بن أبي مُعيط ، اللهم ! عليك بأُبَيٍّ بن خلف . أو : أمية بن خلف» . شعبة الشاك .

قال عبدالله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ، ثم سُحِبُوا إلى القليب ؛ غير أُبيّ أو أمية بن خلف ؛ فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع .

والصواب : أمية بن خلف ؛ فإنه الذي قتل يوم بدر ، وأخوه أُبيّ إنما قتل يوم أُحد ؛ كما سيأتي بيانه .

---

(١) في «المسند» (١/٣٩٣ و٤١٧) ، والبخاري (٢٤٠ و٥٢٠ و٢٩٣٤ و٣١٨٥ و٣٨٥٤ و٣٩٦٠) ، ومسلم (١٧٩٤) ، وهو في «مختصر البخاري» برقم (١٤٤) .

و(السلا) : هو الذي يخرج مع ولد الناقة ؛ كالمشيمة لولد المرأة .

وفي بعض ألفاظ «الصحيح» : أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا ؛ حتى جعل بعضهم يميل على بعض ؛ أي : يميل هذا على هذا من شدة الضحك . لعنهم الله .

وفيه : أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبتهم ، وأنه ﷺ لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه ﷺ دعا على الملأ منهم جملة ، وعيَّن في دعائه سبعة ، وقع في أكثر الروايات تسمية ستة منهم ؛ وهم : عتبة وأخوه شيبة ؛ ابنا ربيعة ، والوليد ابن عتبة ، وأبو جهل بن هشام ، وعقبة بن أبي مُعيط ، وأمية بن خلف . قال أبو إسحاق[1] : ونسيت السابع .

قلت : وهو عمارة بن الوليد ، وقع تسميته في «صحيح البخاري» .

وروى عن عروة بن الزبير [قال :] سألت ابن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ ، قال :

بينما النبي ﷺ يصلي في حِجْر الكعبة ؛ إذ أقبل عليه عقبة بن أبي مُعيط ، فوضع ثوبه في عنقه ، فخنقه خنقاً شديداً .

فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ ، وقال : ﴿**أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم**﴾ [غافر : ٢٨] .

انفرد به البخاري[2] ، وقد رواه في أماكن من «صحيحه» ، وصرح في بعضها

---

(١) الأصل : «ابن إسحاق» ، وهو خطأ .

(٢) رقم (٣٦٧٨ و٣٨٥٦ و٤٨١٥) ، ورواه أحمد أيضاً (٢/٢٠٤) .

بـ (عبدالله بن عمرو بن العاص)[1] ، وهو أشبه لرواية عروة عنه ، وفي رواية معلقة عن عروة قال : قيل لعمرو بن العاص . وهذا أشبه لتقدم هذه القصة[2] .

وقد روى البيهقي عن الحاكم بسنده عن ابن إسحاق[3] : حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة قال : قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته؟ فقال :

لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر ، فذكروا رسول الله ﷺ ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ؛ سَفَّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسبَّ آلهتنا ، وصرنا منه على أمر عظيم . أو كما قالوا .

قال : فبينما هم في ذلك [إذ] طلع رسول الله ﷺ ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ ، فمضى ، فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتها في وجهه ،

---

(١) رقم (٣٦٧٨) بلفظ : «رأيت عقبة بن أبي مُعيط جاء إلى النبي . . .» .

(٢) يريد المؤلف رحمه الله أن الرواة اختلفوا في راوي هذه القصة من الصحابة ؛ هل هو عبدالله بن عمرو بن العاص ؛ أم أبوه عمرو؟ وكان يمكن أن يقال بصحة كل من الروايتين والجمع بينهما ؛ بأن القصة شاهدها عمرو ، وتَلقاها عنه ابنه عبدالله ، ثم أرسلها ؛ لولا أن في بعض الروايات عنه أنه شاهدها ـ كما تقدم ويأتي ـ ولذلك لم يقطع المؤلف في ذلك برأي ، ومال الحافظ في «الفتح» إلى تعدد القصة . والله أعلم .

(٣) «السيرة» (٣٠٩/١) ، ومن طريقه أيضاً أحمد في «المسند» (٢١٨/٢) ، وإسناده حسن ، والزيادات التي بين الأقواس منهما ، قد صححت منهما بعض الأخطاء كانت في الأصل ، ورواه ابن جرير أيضاً (٣٣٢/٢) .

فمضى ، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فقال :

«أتسمعون يا معشر قريش؟ أمَا والذي نفسي بيده ؛ لقد جئتكم بالذبح» .

فأخذت القومَ كلمتُهُ ، حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع ، حتى إن أشدهم فيه وَصَاةً قبل ذلك ليرفؤه [بأحسن ما يجد من القول] ، حتى إنه ليقول : انصرف أبا القاسم ! راشداً ، فـ[والله ؛] ما كنت جهولاً . فانصرف رسول الله ﷺ .

حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه .

فبينما هم في ذلك [إذ] طلع رسول الله ﷺ ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول : كذا وكذا؟! لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله ﷺ :

«نعم ؛ أنا الذي أقول ذلك» .

ولقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر يبكي دونه ويقول : ﴿**أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله**﴾ [غافر : ٢٨]؟! ثم انصرفوا عنه .

فإن ذلك لأكثرُ ما رأيت قريشاً بلغت منه قط .

فصل

في تأليب الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه واجتماعهم بعمه أبي طالب القائم في منعه ونصرته وحرصهم عليه أن يسلمه إليهم فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

«لقد أوذيت في الله وما يُؤذَى أحد ، وأُخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد ؛ إلا ما يواري إبط بلال» .

أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي :

«حديث حسن صحيح» .

فصل

فيما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ وما تعنتوا له في أسئلتهم إياه أنواعاً من الآيات وخرق العادات على وجه العناد لا على وجه طلب الهدى والرشاد

فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ، ولا ما إليه رغبوا ؛ لعلم الحق سبحانه ؛ أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون ، ولظلوا في غيهم وضلالهم يتردَّون .

قال الله تعالى : ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية لَيُؤْمِنُنَّ بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون . ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ [الأنعام : ١٠٩ - ١١١] .

وقال تعالى : ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ [يونس : ٩٦ و ٩٧] .

وقال تعالى : ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ [الإسراء : ٥٩] .

وقال تعالى : ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض ينبوعاً .

أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرُقيِّك حتى تُنزِّل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ [الإسراء : ٩٠ - ٩٣] .

وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشبهها في أماكنها من «التفسير» ، ولله الحمد .

عن ابن عباس قال :

سأل أهل (مكة) رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، وأن يُنَحِّيَ عنهم الجبال فيزدرعوا . فقيل له : إن شئت أن تستأني بهم ، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا ، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم[1] . قال :

«لا ؛ بل أستأني بهم» .

فأنزل الله تعالى : **﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾** [الإسراء : ٥٩] .

رواه أحمد والنسائي[2] .

---

(١) الأصل : «هلكوا كما أهلكت من قبلهم الأمم» ، والتصويب من «المسند» و«المستدرك» .

(٢) «المسند» (٢٤٢/١) ، وابن جرير أيضاً في «التفسير» (١٠٨/١٥) ، والحاكم (٣٦٢/٢) وقال : «صحيح الإسناد» ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، وأخرجه جمع آخر ذكرهم في «الدر المنثور» (١٩٠/٤) ؛ منهم الضياء المقدسي في «المختارة» ، وعند بعضهم زيادة : «من الأمم» .

وفي رواية لأحمد[1] عنه قال :

قالت قريش للنبي ﷺ : ادعُ لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك . قال : «وتفعلوا؟» . قالوا : نعم .

قال : فدعا ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة . قال :

«بل [باب] التوبة والرحمة» .

وإسناد كل منهما جيد .

وقد جاء مرسلاً عن جماعة من التابعين ؛ منهم : سعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغير واحد .

---

(١) في «المسند» (٣٤٥/١) ، وإسناده جيد كما قال المؤلف ؛ بل هو صحيح ، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين ؛ غير عمران أبي الحكم السلمي ـ واسم أبيه الحارث ـ فهو من رجال مسلم ، ووقع في الأصل : «عمران بن حكيم» ، وهو خطأ .

فصــل

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء (مكة) إذا اشتد الحر ، من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم .

فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبهم ، ومنهم من يصلُب لهم ، ويعصمه الله منهم .

وقد تقدم[1] حديث ابن مسعود :

أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد .

فأما رسول الله فمنعه الله بعمه ، وأبو بكر منعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون ، فألبسوهم أدرع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ؛ إلا بلالاً ؛ فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى ، وهان على قومه ، فأخذوه ، فأعطوه الولدان ، فجعلوا يطوفون به في شعاب (مكة) وهو يقول : أحد أحد .

وعن جابر : أن رسول الله ﷺ مر بعمار وأهله وهم يعذبون ، فقال : «أبشروا آل عمار وآل ياسر ! فإن موعدكم الجنة» .

---

(١) (ص ١٢١) .

رواه البيهقي عن الحاكم[1] .

قلت : وفي مثل هذا أنزل الله تعالى : **﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان[2] ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾** [النحل : ١٠٦] .

فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البليغ ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته .

وعن خباب بن الأرتّ قال :

كنت رجلاً قَيناً ، وكان لي على العاص بن وائل دين ، فأتيته أتقاضاه ، فقال : لا والله ؛ لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ! فقلت : لا والله ؛ لا أكفر بمحمد

---

(١) قلت : وقد أخرجه في «المستدرك» (٣/٣٨٨ - ٣٨٩) من طريق أبي الزبير عن جابر ، وقال : «صحيح على شرط مسلم» ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ؛ إلا أن أبا الزبير مدلس ، وقد عنعنه . وقد أخرجه عنه ابن سعد (٣/٢٤٩) من الطريق نفسها لم يذكر فيه جابراً . وقد ذكره الهيثمي (٩/٢٩٣) من مسنده ، وقال : «رواه الطبراني في «الأوسط» ، ورجاله رجال «الصحيح» ؛ غير إبراهيم بن عبدالعزيز المقوم ، وهو ثقة» . ثم ذكر له شاهداً من حديث عثمان بن عفان مرفوعاً مثله . وقال : «رواه الطبراني ، ورجاله ثقات» .

(٢) هذه الآية نزلت في عمار اتفاقاً ؛ كما قال الحافظ في «الإصابة» ، وفي ذلك أحاديث كثيرة أوردها السيوطي في «الدر المنثور» (٤/١٣٢) كلها مرسلة ؛ إلا حديث ابن عباس من رواية ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه ؛ لكنه لم يسق إسناده ، ولا تحدث عنه كما هي غالب عادته ، ولقد وددت أن يكون صحيحاً لمناسبته القوية للباب ، ولكن العلم ليس بالتمني ، ومن تلك الأحاديث ما صححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وهو من أوهامهما ؛ كما كنت بينته في «تخريج فقه السيرة للغزالي» (ص١٠٨) .

حتى تموت ثم تبعث . قال : فإني إذا مت ثم بعثت ؛ جئتني ولي ثَمَّ مالٌ وولدٌ فأعطيك ، فأنزل الله : ﴿**أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً**﴾ إلى قوله : ﴿**ويأتينا فرداً**﴾ [مريم : ٧٧ ـ ٨٠] .

أخرجه أحمد ، والبخاري ، ومسلم في «الصحيحين»[١] ، وفي لفظ البخاري :

كنت قيناً بـ (مكة) ، فعملت للعاص بن وائل سيفاً ، فجئت أتقاضاه . . . فذكر الحديث .

وفي طريق أخرى[٢] له عنه قال :

أتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر وجهه ، فقال :

«لقد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ؛ ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه ، فيشق باثنتين ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليُتمّنَّ الله هذا الأمر ؛ حتى يسير الراكب من (صنعاء) إلى (حضرموت) ما يخاف إلا الله عز وجل (زاد بيان : والذئب على غنمه)» .

وفي رواية : «ولكنكم تستعجلون»[٣] .

---

(١) المسند (٥/١١٠ و١١١) ، والبخاري (٢٠٩١ و٢٢٧٥ و٢٤٢٥ و٤٧٣٢ - ٤٧٣٥) ، ومسلم (٢٧٩٥) ، والترمذي (٥١٧٢) وصححه ، وابن جرير (١٦/١٢٠) .

(٢) رقم (٣٦١٢ و٣٨٥٢ و٦٦٤٣) ، ورواه أبو داود أيضاً (٢٦٤٩) ، وأحمد (٥/١٠٩ و١١٠ و١١١ و٦/٣٩٥) ، والحاكم (٣/٣٨٣) .

(٣) (تنبيه) : قلت : أورد المؤلف عقب هذا حديث خباب الآخر بلفظ : شكونا إلى النبي ﷺ =

[المستدرك]

وعن أبي ليلى الكندي قال : جاء خباب إلى عمر فقال : ادنُ ؛ فما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا عمار . فجعل خباب يريه آثاراً بظهره مما عذبه المشركون .

أخرجه ابن سعد (٣/١٦٥) ، وابن ماجه (١٥٣) بسند صحيح[1] . [انتهى المستدرك] .

= شدة الرمضاء فما أشكانا . يعني : في الصلاة . وفي رواية : قال شعبة : يعني : في الظهيرة . ثم ادعى بأنه مختصر من حديثه الذي قبله ، وهو أنهم شكوا إليه ﷺ ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرمضاء . . . فوعدهم أن يدعو الله عليهم ، ولم ينجزه لهم . وأن هذا هو معنى : «فلم يشكنا» ؛ أي : لم يدع لنا في الساعة الراهنة !

ولا أدري لم أبعد هذا البعد في تأويله ؛ وهو صريح بأنه مقيد بالصلاة في الظهيرة؟! وأصرح منه رواية مسلم (٦١٩) : «شكونا إلى رسول الله ﷺ الصلاة في الرمضاء ، فلم يشكنا» . وفي أخرى له : «قال زهير : قلت لأبي إسحاق : أفي الظهيرة؟ قال : نعم . قلت : أفي تعجيلها؟ قال : نعم» . وزاد الطبراني : «وقال : إذا زالت الشمس فصلوا» . ورجاله موثقون . وله عنده شاهد من حديث ابن مسعود : «شكونا إلى رسول الله ﷺ الصلاة بالهاجرة ؛ فلم يشكنا» . ورجاله ثقات ؛ كما في «المجمع» (١/٣٠٥) ، وليس من شرطه ، فقد أخرجه ابن ماجه أيضاً (٦٧٦) .

(١) وكذلك قال البوصيري في «زوائد ابن ماجه» .

بــاب
مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً

روى إسحاق بن راهويه بسنده عن ابن عباس : أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ ، فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عم ! إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً . قال : لم؟ قال : ليعطوكه ؛ فإنك أتيت محمداً لَتَعَرَّضَ ما قِبَلَه .

قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً .

قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له .

قال : وماذا أقول؟ فوالله ؛ ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ، ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ؛ ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله ؛ إن لقوله الذي يقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته .

قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه .

قال : فدعني[1] حتى أفكر فيه .

---

(١) الأصل : «قف عني» ، والتصويب من «المستدرك» و«ابن جرير» .

فلما فكر قال: إنْ هذا إلا سحر يؤثر، يأثره عن غيره. فنزلت: ﴿**ذرني ومن خلقت وحيداً. وجعلت له مالاً ممدواً. وبنين شهوداً**﴾ [المدثر: ١١ـ١٣] الآيات.

هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن إسحاق[١].

قلت: وفي ذلك قال الله تعالى إخباراً عن جهلهم وقلة عقلهم: ﴿**بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون**﴾ [الأنبياء: ٥]، فحاروا ماذا يقولون فيه؟ فكل شيء يقولونه باطل؛ لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ، قال الله تعالى: ﴿**انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً**﴾ [الإسراء: ٤٨].

وروى الإمام عبد بن حميد في «مسنده» بسنده عن جابر بن عبدالله قال:

اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر؛ فليأت هذا الرجل الذي فرّق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولينظر ماذا يرد عليه؟

فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد!

فأتاه عتبة فقال: يا محمد! أنت خير أم عبدالله؟ فسكت رسول الله ﷺ.

فقال: أنت خير أم عبدالمطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ.

ثم قال: إنْ كنت تزعم أن هؤلاء خير منك؛ فقد عبدوا الآلهة التي عِبْتَ،

---

(١) وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٥٠٦ - ٥٠٧)، وقال: «صحيح على شرط البخاري»، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، وأخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢٩/١٥٦) عن عكرمة مرسلاً، ومن طريق أخرى عن ابن عباس.

وإن كنت تزعم أنّك خير منهم ؛ فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سَخلة قط أشأم على قومه منك ، فرقت جماعتنا ، وشَتَّتَّ أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً ، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى ؛ أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى . أيها الرجل ! إن كان إنما بك الحاجة ؛ جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً ، وإن كان إنما بك الباءة ؛ فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرًا . فقال رسول الله ﷺ : «فرغت؟» . قال : نعم . فقال رسول الله ﷺ :

« **﴿بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ إلى أن بلغ : ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾** [فصلت : ١ - ١٣]» .

فقال عتبة : حسبك ، ما عندك غير هذا؟ قال : «لا» .

فرجع إلى قريش ، فقالوا : ما وراءك؟ قال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته .

قالوا : فهل أجابك؟ فقال : نعم . ثم قال : لا والذي نصبها بَيِّنَة ؛ ما فهمت شيئاً مما قال ؛ غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود .

قالوا : ويلك ! يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟!

قال : لا والله ؛ ما فهمت شيئاً مما قال ؛ غير ذكر الصاعقة .

وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم بسنده عن الأجلح به ، وفيه كلام[1] ، وزاد :

وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك ؛ فكنت رأساً ما بقيت . وعنده أنه لما قال : **﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾** ؛ أمسك عتبة على فيه ، وناشده الرحم أن يكف عنه ، ولم يخرج إلى أهله ، واحتبس عنهم .

فقال أبو جهل : والله يا معشر قريش ! ما نرى عتبة إلا صبا إلى محمد ، وأعجبه كلامه[2] ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، انطلقوا بنا إليه . فأتوه ، فقال أبو جهل : والله يا عتبة ! ما جئنا إلا أنك صبوت إلى محمد ، وأعجبك أمره ، فإن كان بك حاجة ؛ جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن محمد[3] .

فغضب ، وأقسم بالله لا يكلم محمداً أبداً ، وقال : لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ، ولكني أتيته ـ وقص عليهم القصة ـ فأجابني بشيء ـ والله ؛ ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة ـ قرأ : «**﴿بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم﴾** حتى بلغ : **﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل**

---

(١) هو الأجلح بن عبدالله بن حُجية الكندي ، وهو صدوق شيعي ؛ كما في «التقريب» ، وشيخه في هذا الحديث راويه عن جابر هو الذيال بن حرملة الأسدي ، روى عنه أيضاً الشيباني وحصين وحجاج بن أرطاة وفطر ؛ كما في «ابن أبي حاتم» (٣/٤٥١) ، والظاهر أنه في «ثقات ابن حبان» ، ومن طريقه أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص٧٥) ، وكذا الحاكم في «المستدرك» (٢/٢٥٣) لكن مختصراً ، وقال : «صحيح الإسناد» ، ووافقه الذهبي .

(٢) الأصل : «طعامه» ، وكذا في «الدر المنثور» ، ولعل الصواب ما أثبته بدلالة السياق .

(٣) الأصل : «طعام محمد» ، والتصويب من «الدر» .

صاعقة عاد وثمود﴾» ، فأمسكت بفيه ، وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفت أن ينزل عليكم العذاب .

ثم روى البيهقي بسنده عن المغيرة بن شعبة قال :

إن أول يوم عرفت رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة ؛ إذ لقينا رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل :

«يا أبا الحكم ! هلم إلى الله وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله» .

فقال أبو جهل : يا محمد ! هل أنت منتهٍ عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهدَ أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله ؛ لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك .

فانصرف رسول الله ﷺ ، وأقبل علي فقال : والله ؛ إني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن يمنعني شيء ؛ إن بني قصي قالوا : فينا الحجابة . فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا السقاية . فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا الندوة . فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا اللواء . فقلنا : نعم . ثم أطعموا وأطعمنا ، حتى إذا تحاكّت الركب قالوا : منا نبي ! والله لا أفعل[1] .

وهذا القول منه ـ لعنه الله ـ كما قال تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه : **﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي بعث الله رسولاً . إن كاد لَيُضِلُّنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً﴾** [الفرقان : ٤١ و ٤٢] .

---

(١) قلت : إسناده حسن .

وقال ابن عباس :

نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوارٍ بـ (مكة) : ﴿**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها**﴾ [الإسراء : ١١٠] ؛ قال :

كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ، وسبوا من أنزله ، ومن جاء به . قال : فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿**ولا تجهر بصلاتك**﴾ ؛ أي : بقراءتك ؛ فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ، ﴿**ولا تخافت بها**﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك ، ﴿**وابتغ بين ذلك سبيلاً**﴾ .

رواه أحمد وصاحبا «الصحيح»[١] .

---

(١) «المسند» (١/٢٣ و٢١٥) ، والبخاري (٤٧٢٢ و٧٤٩٠ و٧٥٤٧) ، ومسلم (٤٤٦) ، والترمذي أيضاً (٥١٥٣ و٥١٥٤) ، وابن جرير (١٥/١٨٤ - ١٨٥) ؛ كلهم عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية (في الأصل : أبي حية !) عن سعيد بن جبير عنه . وتابعه عكرمة عنه بلفظ أتم منه ، وهو الذي في الكتاب بعده ، ولم أورده ؛ لأنه من رواية داود بن الحصين عن عكرمة ، وهو ضعيف فيه ؛ كما في «التقريب» .

بسم الله الرحمن الرحيم
باب هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله ﷺ من (مكة) إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم من الفتنة

قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين ، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد والإهانة البالغة .

وكان الله عز وجل قد حجرهم عن رسول الله ﷺ ، ومنعه بعمه أبي طالب ؛ كما تقدم تفصيله ، ولله الحمد والمنة .

وقد روى الإمام أحمد[1] بسنده عن ابن مسعود قال :

بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً ، فيهم

---

(١) في «المسند» (٤٦١/١) ، وكذا الحاكم (٦٢٣/٢) ، وابن سيد الناس في «عيون الأثر» (١١٨/١) من طريق حُديج بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبدالله بن عتبة عن ابن مسعود . وقال الحاكم : «صحيح الإسناد» ، وقد أقره الذهبي ، وذكر تبعاً للحاكم أنه مر عنده في «التفسير» ، ولم أره فيه ؛ علماً بأن في نسختي العارية نقصاً ما بين صفحتي (٤٠٦ و٤١٥) ، وقد جود المؤلف إسناده كما يأتي ، وحسنه الحافظ في «الفتح» (١٨٩/٧) ، وهو الأقرب ؛ لولا عنعنة أبي إسحاق - وهو عمرو بن عبدالله السبيعي - ثم هو إلى ذلك كان اختلط ، والراوي عنه حُديج صدوق يخطئ ، وبه أعله الهيثمي فقال : «رواه الطبراني ، وفيه حُديج ابن معاوية ؛ وثقه أبو حاتم ، وقال : في بعض حديثه ضعف ، وضعفه ابن معين وغيره ، وبقية رجاله ثقات» ، وفاته عزوه إلى «المسند» .

عبدالله بن مسعود ، وجعفر ، وعبدالله بن عرفطة ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسى ، فأتوا النجاشي .

وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية .

فلما دخلا على النجاشي سجدا له ، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ، ثم قالا له : إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ، ورغبوا عنا وعن ملتنا .

قال : فأين هم؟ قالا : في أرضك ؛ فابعث إليهم .

فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتَّبَعُوه .

فسلَّم ولم يسجد ، فقالوا له : ما لك لا تسجد للملك؟

قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل .

قال : وما ذاك؟

قال : إن الله بعث إلينا رسولاً ، ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو : فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم .

قال : فما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟

قال : نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ، ولم يفرضها[1] ولد .

---

(١) [أي : لم يؤثّر فيها ولم يَحُزَّها ؛ يعني : قبل المسيح عليه السلام . «نهاية»] . الناشر .

قال : فرفع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ! والله ؛ ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا ، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي نجد في الإنجيل ، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله ؛ لولا ما أنا فيه من الملك ؛ لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه [وأوضئه] .

وأمر بهدية الآخرين فردَّت إليهما .

ثم تعجل عبدالله بن مسعود حتى أدرك بدراً .

وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته .

وهذا إسناد جيد قوي ، وسياق حسن ، وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان فيمن هاجر من (مكة) إلى أرض الحبشة ؛ إن لم يكن مدرجاً من بعض الرواة . والله أعلم .

ورواه أبو نعيم في «الدلائل»[1] عن أبي موسى قال :

أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي ، فبلغ ذلك قريشاً ، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشي هدية .

---

(١) (ص٨٤) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى . . . وهذا إسناد صحيح - كما يأتي في الكتاب - لولا ما ذكرناه آنفاً في أبي إسحاق السبيعي من التدليس والاختلاط ، وهو من رواية أبي نعيم عن الطبراني ، وقال الهيثمي (٦/٣١) : «رواه الطبراني ، ورجاله رجال (الصحيح)» ، وأخرجه الحاكم (٢/٣٠٩ - ٣١٠) وقال : «صحيح على شرط الشيخين» ، ووافقه الذهبي .

وقدما على النجاشي فأتياه بالهدية ، فقبلها ، وسجدا له . ثم قال عمرو بن العاص : إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا ، وهم في أرضك .

قال لهم النجاشي : في أرضي؟!

قالا : نعم .

فبعث إلينا ، فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد ؛ أنا خطيبكم اليوم .

فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه ، وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعمارة عن يساره ، والقسيسون جلوس سِماطين ، وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم لا يسجدون لك .

فلما انتهينا بدرنا مَنْ عنده من القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك . فقال جعفر : لا نسجد إلا لله عز وجل[١] .

فقال له النجاشي : وما ذاك؟

قال : إن الله بعث فينا رسولاً ، وهو الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده اسمه أحمد ، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ، ونهانا عن المنكر .

فأعجب النجاشي قوله .

(١) هنا في الأصل زيادة : «فلما انتهينا إلى النجاشي قال : ما منعك أن تسجد؟ قال : لا نسجد إلا لله» ، وقد بدا لي أنها زيادة لا معنى لها ؛ مع عدم ورودها عند أبي نعيم ولا الطبراني والحاكم ؛ فحذفتها .

فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال : أصلح الله الملك ، إنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم !

فقال النجاشي : ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟

قال : يقول فيه قول الله ؛ هو روح الله وكلمته ، أخرجه من العذراء البتول التي لم يقربها بشر ، ولم يفرضها ولد .

فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه ، فقال : يا معشر القسيسين والرهبان ! ما يزيد هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزن هذه ، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي بشر به عيسى ، ولولا ما أنا فيه من الملك ؛ لأتيته حتى أقبل نعليه ، امكثوا في أرضي ما شئتم .

وأمر لنا بطعام وكسوة . وقال : ردوا على هذين هديتهما .

وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً ، وكان عمارة رجلاً جميلاً ، وكانا أقبلا في البحر ، فشربا [يعني : خمراً][1] ، ومع عمرو امرأته ، فلما شربا قال عمارة لعمرو : مر امرأتك فلتقبلني ! فقال له عمرو : ألا تستحي؟! فأخذ عمارة عمراً فرمى به في البحر ، فجعل عمرو يناشد عمارة حتى أدخله السفينة .

فحقد عليه عمرو في ذلك ، فقال عمرو للنجاشي : إنك إذا خرجت خلفك عمارة في أهلك . فدعا النجاشي بعمارة ، فنفخ في إحليله ، فطار مع الوحش .

(١) زيادة من الطبراني .

وهكذا رواه البيهقي في «الدلائل» إلى قوله : «فأمر لنا بطعام وكسوة»[١] ، قال :

«وهذا إسناد صحيح ، وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بـ (مكة) ، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة .

والصحيح عن بُريد[٢] بن عبدالله بن أبي بُردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى :

أنهم بلغهم مخرج رسول الله ﷺ وهم باليمن ، فخرجوا مهاجرين في بضع وخمسين رجلاً في سفينة ، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة ، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم ، فأمره جعفر بالإقامة ، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله ﷺ زمن (خيبر) .

قال : وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي ، فأخبر عنه .

قال : ولعل الراوي وهم في قوله : «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق» . والله أعلم[٣]» .

---

(١) قلت : وكذلك هو عند الحاكم ؛ لكن بزيادة قوله : «ردوا على هذين هديتهما» . ولعله كذلك عند البيهقي .

(٢) الأصل : «يزيد» ، وهو تصحيف يقع كثيراً من النساخ والمحققين الذي لا علم عندهم بالرواة ، وقد تكرر في رواية البخاري الآتية ؛ لكن المحقق تنبه هناك فصححه من «البخاري» .

(٣) قلت : الوهم المذكور محتمل ؛ لا سيما وفيه من كان اختلط كما سبق ؛ لكن قال الحافظ في «الفتح» : « ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى (مكة) فأسلم ، فبعثه النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة ، فتوجه إلى بلاد قومه مقابل الحبشة من الجانب الشرقي ، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بـ (المدينة) ؛ هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى (المدينة) ؛ فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح إلى الحبشة ، فهذا محتمل ، وفيه جمع بين الأخبار ، فليعتمد ، وعلى هذا فقوله : «بلغنا مخرج النبي ﷺ » ؛ أي : إلى (المدينة) ، وليس المراد : بلغنا مبعثه ، ويؤيده أنه يبعد كل البعد أن يتأخر علم مبعثه إلى مضي نحو عشرين سنة . . .» .

وهكذا رواه البخاري في (هجرة الحبشة) ، ومسلم عن أبي موسى قال :

بلغنا مخرج النبي ونحن باليمن ، فركبنا سفينة ، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأقمنا معه حتى قدمنا ، فوافينا النبي ﷺ حين افتتح (خيبر) ، فقال النبي ﷺ :

«لكم أنتم أهل السفينة هجرتان» .

وروياه في موضع أخر مطولاً . والله أعلم[1] .

وقال ابن إسحاق : حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن حارث ابن هشام عن أم سلمة رضي الله عنها قالت :

لما ضاقت (مكة) ، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفُتنوا ، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم ، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه ومن عمه ، لا يصل إليه شيء مما يكره ومما ينال أصحابه ؛ فقال لهم رسول الله ﷺ :

«إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه» .

فخرجنا إليها أرسالاً ، حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار ، آمنين على ديننا ، ولم نخش فيها ظلماً .

---

(١) قلت : مسلم لم يروه إلا في موضع واحد ، وهو (فضائل الصحابة) رقم (١٦٩) مطولاً ، وكذا رواه البخاري في (الخمس) و(المغازي) (رقم ٣١٣٦ و٤٢٣٠) ، ورواه في (الهجرة) مختصراً برقم (٣٨٧٦) ، وسيأتي لفظه المطول في (غزوة خيبر) .

فلما رأت قريش أنا قد أصبنا داراً وأمناً غاروا منا ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ؛ ليخرجنا من بلاده ، وليردنا عليهم .

فبعثوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يَدَعوا رجلاً إلا هيأوا له هدية على حدة ، وقالوا لهما : ادفعو إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، فإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا .

فقدما عليه ، فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته ، فكلموه ، فقالوا له : إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا ؛ فارقوا أقوامهم في دينهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل . فقالوا : نفعل .

ثم قدموا للنجاشي هداياه ، وكان من أحب ما يهدون إليه من (مكة) الأدم . (وذكر موسى بن عقبة : أنهم أهدوا إليه فرساً وجبة ديباج) .

فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك ! إن فتية منّا سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجؤوا إلى بلادك ، وقد بعثنا إليك فيهم عشائرهم ؛ آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم ، فإنهم أعلى بهم عيناً ، فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك .

فغضب ، ثم قال : لا لعمر الله ! لا أردهم عليهم حتى أدعوهم فأكلمهم وأنظر ما أمرهم ؛ قوم لجؤوا إلى بلادي ، واختاروا جواري على جوار غيري ، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ، ولم أدخل

بينهم وبينهم ، ولم أَنْعَم عيناً .

(وذكر موسى بن عقبة : أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردهم إليهم ، فقال : لا والله ؛ حتى أسمع كلامهم ، وأعلم على أي شيء هم عليه) .

فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا له ، فقال : أيها الرهط ! ألا تحدثوني ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أتانا من قومكم؟!

فأخبروني ماذا تقولون في عيسى؟ وما دينكم؟

أنصارى أنتم؟

قالوا : لا .

قال : أفيهود أنتم؟

قالوا : لا .

قال : فعلى دين قومكم؟

قالوا : لا .

قال : فما دينكم؟

قالوا : الإسلام .

قال : وما الإسلام؟

قالوا : نعبد الله لا نشرك به شيئاً .

قال : من جاءكم بهذا؟

قالوا : جاءنا به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونسبه ، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا ، فأمرنا بالبر والصدقة ، والوفاء ، وأداء الأمانة ، ونهانا أن نعبد الأوثان ، وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له ، فصدقناه ، وعرفنا كلام الله ، وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا ، وعادوا النبي الصادق ، وكذبوه ، وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الأوثان ، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا .

قال : والله ؛ إن هذا لمن المشكاة التي خرج منها أمر موسى .

قال جعفر : وأما التحية ؛ فإن رسول الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة (السلام) ، وأمرنا بذلك ، فحييناك بالذي يحيى بعضنا بعضاً .

وأما عيسى ابن مريم ؛ فعبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وابن العذراء البتول .

فأخذ عوداً ، وقال : والله ؛ ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود .

فقال عظماء الحبشة : والله ؛ لئن سمعت الحبشة لتخلعنك .

فقال : والله ؛ لا أقول في عيسى غير هذا أبداً ، وما أطاع الله الناس فيَّ حين رد عليّ ملكي ؛ فأطيع الناس في دين الله؟! معاذ الله من ذلك !

وقال يونس عن ابن إسحاق : فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ، ولم يكن شيء أبغض لعمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم .

فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا : ماذا تقولون؟

فقالوا : وماذا نقول؟! نقول ـ والله ـ ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا ﷺ كائن من ذلك ما كان .

فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

فقال له النجاشي : ما هذا الدين الذي أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم ، ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية !

فقال له جعفر : أيها الملك ! كنا قوماً على الشرك نعبد الأوثان ، ونأكل الميتة ، ونسيء الجوار ، يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها ، لا نُحلل شيئاً ولا نحرمه ، فبعث الله إلينا نبيّاً من أنفسنا ، نعرف وفاءه وصدقه وأمانته ، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ، ونصل الأرحام ، ونحمي الجوار ، ونصلي لله عز وجل ، ونصوم له ، ولا نعبد غيره .

(وقال زياد[1] عن ابن إسحاق : فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الأرحام ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ قال : فعدد عليه أمور الإسلام ـ

---

(١) هو زياد البكائي راوي «السيرة» عن ابن إسحاق ، وهي التي اختصرها ابن هشام دون رواية يونس بن بكير عنه ، وبين روايتهما عنه بعض الاختلاف ، ولذلك نرى المؤلف يذكر الفرق بين روايتهما في هذا الحديث ، وإن كان لم يفصح عن منتهى رواية زياد ، فاستدركت ذلك بجعلها بين هلالين .

فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده لا شريك له ، ولم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا .

فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ليفتنونا عن ديننا ، ويردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث .

فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ؛ خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك !

قالت : فقال النجاشي : هل معك شيء مما جاء به؟

فقرأ عليه صدراً من ﴿كهيعص﴾ ، فبكى ـ والله ـ النجاشي حتى اخضَلَّتْ لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم [حين سمعوا ما تلا عليهم])[1] .

ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى ؛ انطلقوا راشدين ، لا والله ؛ لا أردهم عليكم ، و لا أنعمكم عيناً .

فخرجنا من عنده ، وكان أبقى الرجلين فينا عبدالله بن [أبي] ربيعة ، فقال عمرو بن العاص : والله ؛ لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم ، ولأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد ـ عيسى ابن مريم ـ عبد !

فقال له عبدالله بن [أبي] ربيعة : لا تفعل ؛ فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ، ولهم حقاً .

---

(١) إلى هنا تنتهي رواية زياد ، وهي في «سيرة ابن هشام» (١/٣٥٩ - ٣٦٠) ، والزيادة منه .

فقال : والله لأفعلن .

فلما كان الغد دخل عليه ، فقال : أيها الملك ! إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسلهم عنه .

فبعث ـ والله ـ إليهم ، ولم ينزل بنا مثلها .

فقال بعضنا لبعض : ماذا تقولون في عيسى إن هو سألكم[1] عنه؟

فقالوا : نقول ـ والله ـ الذي قاله الله فيه ، والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه .

فدخلوا عليه وعنده بطارقته ، فقال : ما تقولون في عيسى ابن مريم؟

فقال له جعفر : نقول : هو عبدالله ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فدلى النجاشي يده إلى الأرض ، فأخذ عوداً بين إصبعيه ، فقال : ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العويد .

فتناخرت بطارقته ، فقال : وإن تناخرتم والله !

اذهبوا فأنتم شيوم في الأرض (الشيوم : الآمنون في الأرض) ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم (ثلاثاً) ، ما أحب أن لي دَبْراً وأني آذيت رجلاً منكم . (والدبر بلسانهم : الذهب) .

(وقال زياد عن ابن إسحاق : ما أحب لي دبراً من الذهب . قال ابن هشام : ويقال : زبراً ، وهو الجبل بلغتهم) .

---

(١) الأصل : «يسألكم» .

ثم قال النجاشي : فوالله ؛ ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي ، ولا أطاع الناس فيّ ؛ فأطيع الناس فيه؟! ردوا عليهما هداياهم ، فلا حاجة لي بها ، واخرجا من بلادي .

فخرجا مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به .

قالت : فأقمنا مع خير جار في خير دار .

فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه الملك .

فوالله ؛ ما علمتنا حزنًا حزناً قط هو أشد منه فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه ، فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه .

فجعلنا ندعوا الله ونستنصره للنجاشي ، فخرج إليه سائراً .

فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض : من يخرج فيحضر الوقيعة حتى ينظر على من تكون .

فقال الزبير ـ وكان من أحدثنا سناً ـ : أنا .

فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ، فجعل يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر الوقعة .

فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر النجاشي عليه .

فجاءنا الزبير ، فجعل يليح لنا بردائه ويقول : ألا فأبشروا ؛ فقد أظهر الله النجاشي .

قالت : فوالله ؛ ما علمتنا فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي .

ثم أقمنا عنده حتى خرج مَنْ خرج منا إلى (مكة) ، وأقام من أقام[1] .

قال الزهري : فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة ، فقال عروة : أتدري ما قوله : «ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي ، فآخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس فيّ ؛ فأطيع الناس فيه؟!»؟

فقلت : لا ؛ ما حدثني ذلك أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة .

فقال عروة : فإن عائشة حدثتني : أن أباه كان ملك قومه ، وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلاً ، ولم يكن لأبي النجاشي ولد غير النجاشي ، فأدارت الحبشة رأيها بينها فقالوا : لو أنا قتلنا أبا النجاشي ، وملكنا أخاه ؛ فإن له اثني عشر رجلاً من صلبه ؛ فتوارثوا الملك ؛ لبقيت الحبشة عليهم دهراً طويلاً لا يكون بينهم اختلاف .

فعدوا عليه فقتلوه ، وملَّكوا أخاه .

فدخل النجاشي بعمه حتى غلب عليه ، فلا يدير أمره غيره ، وكان لبيباً حازماً من الرجال .

فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا : قد غلب هذا الغلام على أمر عمه ، فما نأمن أن يملكه علينا ، وقد عرف أنا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدع منا شريفاً إلا قتله ، فكلموه فيه فليقتله ، أو ليخرجه من بلادنا .

---

(١) قلت : إلى هنا أخرجه أحمد أيضاً (١/٢٠١ و٥/٢٩٠ - ٢٩٢) .

فمشوا إلى عمه فقالوا : قد رأينا مكان هذا الفتى منك ، وقد عرفت أنا قتلنا أباه وجعلناك مكانه ، وإنا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا ؛ فإما أن تقتله ؛ وإما أن تخرجه من بلادنا .

قال : ويحكم ! قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم؟! بل أخرجه من بلادكم .

فخرجوا به ، فوقفوه في السوق ، وباعوه من تاجر من التجار قذفه في سفينة بستمائة درهم ، أو بسبعمائة فانطلق به .

فلما كان العشي هاجت سحابة من سحائب الخريف ، فخرج عمه يتمطر تحتها ، فأصابته صاعقة فقتلته .

ففزعوا إلى ولده ؛ فإذا هم مُحمقون ليس في أحد منهم خير ، فمرج على الحبشة أمرهم ، فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله أن ملككم الذي لا يصلح أمركم غيره لَلّذي بعتم الغداة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة ؛ فأدركوه قبل أن يذهب .

فخرجوا في طلبه ، فأدركوه فردوه ، فعقدوا عليه تاجه ، وأجلسوه على سريره وملكوه .

فقال التاجر : ردوا علي مالي كما أخذتم مني غلامي . فقالوا : لا نعطيك . فقال : إذاً والله لأكلمنه .

فمشى إليه فكلمه ، فقال : أيها الملك ! إني ابتعت غلاماً ، فقبض مني الذين باعوه ثمنه ، ثم عدوا على غلامي فنزعوه من يدي ، ولم يردوا علي مالي .

فكان أول ما خبر من صلابة حكمه وعدله أن قال :

لتردن عليه ماله ، أو لتجعلن يد غلامه في يده ، فليذهبن به حيث شاء .

فقالوا : بل نعطيه ماله . فأعطوه إياه .

فلذلك يقول : ما أخذ الله مني الرِّشوة ؛ فآخذ الرشوة حين رد عليّ ملكي؟! وما أطاع الناس فيّ ؛ فأطيع الناس فيه[1]؟!

والذي وقع في سياق ابن إسحاق إنما هو ذكر عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة .

والذي ذكره موسى بن عقبة والأموي وغيرهما أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة[2] ـ وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ حين تضاحكوا يوم وضع سلا الجزور على ظهره ﷺ وهو ساجد عند الكعبة[3] ـ وهكذا تقدم في حديث ابن مسعود وأبي موسى الأشعري[4] .

والمقصود أنهما حين خرجا من (مكة) كانت زوجة عمرو معه ، وعمارة كان شاباً حسناً ، فاصطحبا في السفينة ، وكأن عمارة طمع في امرأة عمرو بن العاص ؛

---

(١) قلت : الحديث بطوله في «سيرة ابن هشام» من روايته عن زياد البكائي عن ابن إسحاق ـ كما تقدم (ص١٧٤) ـ مع تقديم وتأخير في بعض الجمل ، ونقص في بعضها ، وكذلك رواه أبو نعيم في «الدلائل» (ص٨١ - ٨٤) من طريق أخرى عن ابن إسحاق به . ورواه أحمد دون حديث الزهري عن عروة عن عائشة ـ كما ذكرت (ص١٧٨) ـ وإسناده حسن ، رجاله ثقات رجال الشيخين ، وقال الهيثمي (٦/٢٧) : «رواه أحمد ورجاله رجال «الصحيح» ؛ غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع» .

(٢) قلت : وكذلك وقع في حديث عروة المرسل عند أبي نعيم (ص٨٠) .

(٣) تقدم ذلك (ص١٤٦) .

(٤) تقدم حديثهما في أول الجزء (ص١٦٤ و ١٦٦) .

فألقى عمراً في البحر ليهلكه ، فسبح حتى رجع إليها ، فقال له عمارة : لو أعلم أنك تحسن السباحة لما ألقيتك[1] . فحقد عمرو عليه .

فلما لم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي ، وكان عمارة قد توصل إلى بعض أهل النجاشي ، فوشى به عمرو ، فأمر به النجاشي فسحر حتى ذهب عقله ، وساح في البرية مع الوحوش .

وقد ذكر الأموي[2] قصته مطولة جدّاً ، وأنه عاش إلى زمن إمارة عمر بن الخطاب ، وأنه تقصَّده بعض الصحابة ومسكه ، فجعل يقول : أرسلني أرسلني وإلا متُّ . فلما لم يرسله مات من ساعته . فالله أعلم .

وروى ابن إسحاق بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت :

لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور[3] .

ورواه أبو داود عن ابن إسحاق[4] .

* * *

(١) قول عمارة هذا لم يتقدم في شيء من الروايات السابقة ، فتنبه .

(٢) هو يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الكوفي الحافظ الملقب بـ(الجمل) ، توفي سنة (١٩٤) أربع وتسعين ومائة ، وقوله في «الرسالة المستطرفة» (ص٨٢) : «ومائتين» خطأ ؛ ذكره فيمن ألف في المغازي ، وفي «تاريخ بغداد» (١٣٢/١٤) أنه روى عن محمد بن إسحاق «المغازي» ، فلا أدري هو هذا أم غيره؟!

(٣) سيرة ابن هشام (٣٦٤/١) ، وإسناده حسن .

(٤) أخرجه أبو داود في (الجهاد) بلفظ : « . . .كنا نتحدث . .» ، وهو عنده من طريق سلمة ابن الفضل عن ابن إسحاق ، وسلمة قال فيه الحافظ ابن حجر : «صدوق كثير الخطأ» .

وقد ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه :

أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى ، فصف بهم وكبر أربع تكبيرات[1] .

وروى البخاري في (موت النجاشي)[2] بسنده عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ حين مات النجاشي :

«مات اليوم رجل صالح ؛ فقوموا فصلوا على أخيكم (أصحمة)» .

وروي ذلك من حديث أنس بن مالك ، وابن مسعود ، وغير واحد .

وفي بعض الروايات تسميته (أصحمة)[3] ، وفي رواية (مصحمة) ، وهو (أصحمة بن بحر) ، وكان عبداً صالحاً لبيباً ذكيّاً ، وكان عادلاً عالماً ، رضي الله عنه وأرضاه .

وقال يونس عن ابن إسحاق : اسم النجاشي (مصحمة) ، وفي نسخة صححها البيهقي : (أصحم) ، وهو بالعربية : (عطية) .

قال : وإنما النجاشي اسم الملك ؛ كقولك : (كسرى) ، (هرقل)[4] .

---

(١) قلت : وهو مخرج في كتابي «أحكام الجنائز» (ص٨٩ - ٩٠) .

(٢) رقم (٣٨٧٧) ، ورواه مسلم أيضاً (٩٥٢) نحوه ، وهو مخرج في «الأحكام» .

(٣) وهي الصحيحة لاتفاق الشيخين عليها من حديث أبي هريرة وجابر ؛ كما تراه مخرجاً هناك ، وأما الرواية التي بعدها فلا تصح ؛ كما سأبينه .

(٤) قلت : أخرجه الحاكم (٢/٦٢٣) عن يونس ؛ كما في النسخة الأولى ، وهو إسناد معضل ضعيف كما لا يخفى ، والصحيح في اسمه (أصحمة) ؛ كما تقدم آنفاً .

قلت : كذا ، ولعله يريد به (قيصر) ؛ فإنه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم . و(كسرى) علم على من ملك الفرس . و(فرعون) علم لمن ملك مصر كافة . و(المقوقس) لمن ملك الإسكندرية . و(تُبَّع) لمن ملك اليمن والشحْر . و(النجاشي) لمن ملك الحبشة . و(بطليموس) لمن ملك اليونان ، وقيل : الهند . و(خاقان) لمن ملك الترك .

وقال بعض العلماء[1] : إنما صلى عليه ؛ لأنه كان يكتم إيمانه من قومه ، فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه ، فلهذا صلى عليه .

قالوا : فالغائب إن كان قد صُلِّي عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلد أخرى ، ولهذا لم يُصَلَّ على النبي ﷺ في غير (المدينة) ؛ لا أهل (مكة) ولا غيرهم . وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة ؛ لم ينقل أنه صُلِّي على أحد منهم في غير البلدة التي صُلِّيَ عليه فيها . فالله أعلم .

[المستدرك]

عن عمير بن إسحاق قال :

قال جعفر : يا رسول الله ! ائذن لي أن آتي أرضاً أعبدالله فيها ؛ لا أخاف أحداً . قال : قال : فأذن له فيها ، فأتى النجاشي .

قال عمير : حدثني عمرو بن العاص قال :

---

(١) هو الإمام الخطابي في «معالم السنن» ، فراجع كلامه في ذلك مع كلام ابن تيمية وابن القيم في «أحكام الجنائز» ؛ يتبين لك أن الصواب ما ذكره المؤلف عن العلماء .

لما رأيت جعفراً وأصحابه آمنين بأرض الحبشة حسدته ؛ لأستقبلن لهذا وأصحابه ، فأتيت النجاشي فقلت : ائذن لعمرو بن العاص . فأذن لي ، فدخلت فقلت : إن بأرضنا ابن عم لهذا يزعم أنه ليس للناس إلا إله واحد ، وإنا ـ والله ـ إن لم تُرِحنا منه وأصحابه ؛ لا قطعت إليك هذه النطفة[1] ولا أحد من أصحابي أبداً .

فقال : وأين هو؟ قلت : إنه يجيء مع رسولك ؛ إنه لا يجيء معي .

فأرسل معي رسولاً ، فوجدناه قاعداً بين أصحابه ، فدعاه ، فجاء ، فلما أتيت الباب ناديت : ائذن لعمرو بن العاص . ونادى خلفي : ائذن لحزب الله عز وجل . فسمع صوته ، فأذن له قبلي ، فدخل ودخلت ، فإذا النجاشي على السرير ، قال : فذهبت حتى قعدت بين يديه ، وجعلته خلفي ، وجعلت بين كل رجلين من أصحابه رجلاً من أصحابي ، [قال : فسكت وسكتنا ، وسكت وسكتنا ، حتى قلت في نفسي : ألعن هذا العبد الحبشي ؛ ألا يتكلم؟! ثم تكلم] ، فقال النجاشي : نجروا . قال عمرو : يعني : تكلموا . قلت : إن بأرضك رجلاً ابن عمه بأرضنا ، ويزعم أنه ليس للناس إلا إله واحد ، وإنك إن لم تقطعه وأصحابه ، لا أقطع إليك هذه النطفة أنا ولا أحد من أصحابي أبداً . [قال : يا حزب الله ! نجر] .

قال جعفر : صدق ابن عمي وأنا على دينه .

قال : فصاح صياحاً ، وقال : أوه . حتى قلت : ما لابن الحبشية لا يتكلم . وقال : أَنَامُوسٌ كَنَامُوسِ موسى؟

(١) يريد : ماء البحر .

قال : ما تقولون في عيسى ابن مريم؟

قال : أقول : هو روح الله وكلمته .

قال : فتناول شيئاً من الأرض ، فقال : ما أخطأ في أمره مثل هذا ، فوالله ؛ لولا ملكي لاتبعتكم . وقال لي : ما كنت أبالي أن لا تأتيني أنت ولا أحد من أصحابك أبداً ، أنت آمن بأرضي ، من ضربك قتلته ، ومن سبك غرمته .

وقال لآذنه : متى أستأذنك هذا فائذن له ؛ إلا أن أكون عند أهلي ، فإن أبى[1] فائذن له .

قال : فتفرقنا ، ولم يكن أحد أحب إليّ أن ألقاه من جعفر .

قال : فاستقبلني من طريق مرة ، فنظرت خلفه فلم أر أحداً ، فنظرت خلفي فلم أر أحداً ، فدنوت منه وقلت : أتعلم أني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله؟

قال : فقد هداك الله فاثبت . فتركني وذهب .

فأتيت أصحابي ، فكأنما شهدوه معي ، فأخذوا قطيفة أو ثوباً ، فجعلوه عليّ حتى غموني بها . قال : وجعلت أخرج رأسي من هذه الناحية مرة ، ومن هذه الناحية مرة ، حتى أفلت وما علي قشرة[2] ، [ولم يدعوا لي شيئاً إلا ذهبوا به] ، فمررت على حبشية ، فأخذت قناعها فجعلته على عورتي .

---

(١) الأصل : «أتى» ، والتصويب من رواية البزار في «كشف الأستار» (٢٩٧/٢) ، والزيادات منه .

(٢) أي : ثوباً .

فأتيت جعفراً ، فدخلت عليه ، فقال : ما لك؟ فقلت : أخذ كل شيء لي ، ما ترك عليّ قشرة ، فأتيت حبشية ، فأخذت قناعها فجعلته على عورتي . [فقال :]

فانطلق وانطلقت معه حتى أتى إلى باب الملك ، فقال جعفر لآذنه : استأذن لي . قال : إنه عند أهله . [فقال : استأذن لي عليه . فاستأذن له ،] فأذن له ، فقال : إن عمراً تابعني على ديني . قال : كلا . قال : بلى .

فقال لإنسان : اذهب معه ؛ فإن فعل ؛ فلا يقل شيئاً إلا كتبته . قال : فجاء فقال : نعم . فجعلت أقول ، وجعل يكتب ، حتى كتب كل شيء حتى القدح[1] .

قال : ولو شئت آخذ شيئاً من أموالهم إلى مالي فعلت .

[قال : ثم كنت بعد من الذين أقبلوا في السفن مسلمين] .

رواه الطبراني والبزار ، وصدر الحديث في أوله والزيادة في آخره له[2] .

وعن أبي مالك الأشجعي قال : كنت جالساً مع محمد بن حاطب فقال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) أي : مما سلبه أصحابه منه ليعاد إليه ؛ بيَّن ذلك رواية البغوي : «وبلغ ذلك أصحابي ، فغنموني وسلبوني كل شيء ، فذهب إلى جعفر ، فذهبت معي إلى النجاشي ، فردّوا عليّ كل شيء أخذوه» .

(٢) كذا في «مجمع الزوائد» (٦/٢٩) ، وقال :

«وعمير بن إسحاق وثقه ابن حبان وغيره ، وفيه كلام لا يضر ، وبقية رجاله رجال (الصحيح)» ، ومن طريقه أخرجه البغوي ـ كما في «الإصابة» ـ وقال : «إسناده جيد عنه ، أحد التابعين» .

«إني قد رأيت أرضاً ذات نخل فاخرجوا» .

فخرج حاطب وجعفر في البحر قِبَلَ النجاشي .

قال : فولدت أنا في تلك السفينة .

رواه أحمد (٢٥٩/٤) ، وسنده صحيح .

وفي رواية له (٤١٨/٣ و٣٣٧/٦) من طريق أخرى عن محمد بن حاطب عن أمه أم جميل بنت المجلل قالت :

أقبلت بك من أرض الحبشة ، حتى إذا كنت من (المدينة) على ليلة أو ليلتين طبخت لك طبيخاً ، ففني الحطب ، فخرجت أطلبه ، فتناولت القدر ، فانكفأت على ذراعك ، فأتيت بك النبي ﷺ ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ! هذا محمد بن حاطب ، [وهو أول من سمي بك] . فتفل في فيك ، ومسح على رأسك ودعا لك ، وجعل يتفل على يدك ويقول :

«أذهب الباس رب الناس ! واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً» .

فقالت : فما قمت بك من عنده حتى برأت يدك[1] . [انتهى المستدرك] .

---

(١) قلت : وأخرجه البخاري - يعني : في «التاريخ» ؛ كما في «الاستيعاب» - والزيادة له ، وكذا الطبراني ؛ كما في «المجمع» (٢٨/٦) ، وعنه أبو نعيم في «الدلائل» (ص١٦٨) ، وإسناده ضعيف ؛ لكن ذكر له في «الإصابة» طريقاً أخرى ، فلعله يتقوى بها ؛ لا سيما ولقصة القدر والتفل والدعاء طريق أخرى عن محمد بن حاطب عند أحمد وغيره ، وإسناده صحيح .

إسلام عمر بن الخطاب

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، وردهم النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره ؛ امتنع به أصحاب رسول الله وبحمزة ؛ حتى غاظوا قريشاً .

فكان عبدالله بن مسعود يقول :

ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه[1] .

قلت : وثبت في «صحيح البخاري»[2] عن ابن مسعود أنه قال :

ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب .

وقال زياد البكائي : حدثني مسعر بن كدام عن سعد بن إبراهيم قال : قال ابن مسعود :

إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر ؛ قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه[3] .

---

(١) يشهد له ما يأتي بعد حديث ، وقد رواه ابن سعد (٣/٢٧٠) بسند صحيح .

(٢) في (مناقب الأنصار) رقم (٣٨٦٣) ، واستدركه الحاكم (٣/٨٤) فوهم .

(٣) هذا من تمام كلام ابن إسحاق المتقدم ، وهو في «السيرة» (١/٣٦٦) ، وإسناده حسن ؛ لولا الانقطاع بين سعد وابن مسعود ، وكذلك رواه ابن سعد (٣/٢٧٠) ؛ لكن جعل مكان =

قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر بعد خروج مَنْ خرج مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة .

حدثني عبدالرحمن بن الحارث بن عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبدالعزيز بن عبدالله بن عامر بن ربيعة [عن أبيه][1] عن أمه أم عبدالله بنت أبي حَثْمَة قالت :

والله ؛ إنا لنترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر ، فوقف وهو على شركه ، فقالت : وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا .

قالت : فقال : إنه لَلانطلاق يا أم عبدالله؟

قلت : نعم ؛ والله لنخرجن في أرض من أرض الله ـ إذ آذيتمونا وقهرتمونا ـ حتى يجعل الله لنا مخرجاً .

قالت : فقال : صحبكم الله . ورأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا .

= (سعد) عبدالرحمن بن القاسم ؛ لكن وصله الحاكم (٣/٨٣) من طريق علي بن عاصم : ثنا المسعودي عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن عبدالله قال : فذكره بالشطر الثاني منه ، وقال : «صحيح الإسناد» ! ووافقه الذهبي !

(١) سقطت من الأصل تبعاً لـ«سيرة ابن هشام» (١/٣٦٧) ، وإثباتها ضروري لسببين : **الأول** : أن أم عبدالله هي أمه وليست أم عبدالعزيز ، **والآخر** : أن ابن أبي حاتم ذكر في ترجمة عبدالعزيز أنه روى عن أبيه ، وعنه ابن إسحاق ، وقد روى عنه أيضاً سماك بن حرب ؛ كما رجحه ابن حجر في «اللسان» ، ولذلك قويت خبره هذا ، ولعله في «ثقات ابن حبان» .

قالت : فجاء عامر بحاجتنا تلك ، فقلت له : يا أبا عبدالله ! لو رأيت عمر آنفاً ورقته وحزنه علينا .

قال : أَطَمِعْتِ في إسلامه؟ قالت : قلت : نعم .

قال : لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب !

قالت : يأساً منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام .

قلت : هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الأربعين من المسلمين ، فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين .

اللهم ! إلا أن يقال : إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين .

قلت : وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضي الله عنه ، وما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار مطولاً في أول «سيرته» التي أفردتها على حدة ، ولله الحمد والمنة .

❊ ❊ ❊

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر قال :

لما أسلم عمر قال : أي قريش أنقل للحديث؟

فقيل له : جميل بن معمر الجمحي .

فغدا عليه . قال عبدالله : وغدوت أتبع أثره ، وأنظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت ، حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل ! أني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ ؟

قال : فوالله ؛ ما راجعه حتى قام يجر رداءه ، واتبعه عمر ، واتبعته أنا ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ! ـ وهم في أنديتهم حول الكعبة ـ ألا إن ابن الخطاب قد صبأ .

قال : يقول عمر من خلفه : كذب ؛ ولكني قد أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم .

قال : وطَلَحَ[1] فقعد ، وقاموا على رأسه وهو يقول :

افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله ؛ أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم ، أو تركتموها لنا .

قال : فبينما هم على ذلك ؛ إذ أقبل شيخ من قريش ـ عليه حلة حبرة وقميص موشى ـ حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم؟

فقالوا : صبأ عمر !

---

(١) [أي : أَعْيا] . الناشر .

قال : فمه ؛ رجل اختار لنفسه أمراً ؛ فماذا تريدون؟! أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبكم هكذا؟! خلوا عن الرجل .

قال : فوالله ؛ لكأنما كانوا ثوباً كُشِطَ عنه .

قال : فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى (المدينة) : يا أبت ! من الرجل الذي زجر القوم عنك بـ (مكة) يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟

قال : ذاك أي بني ! العاص بن وائل السهمي .

وهذا إسناد جيد قوي[1] ، وهو يدل على تأخر إسلام عمر ؛ لأن ابن عمر عرض يوم (أُحد) وهو ابن أربع عشرة سنة ، وكانت (أحد) في سنة ثلاث من الهجرة ، وقد كان مميزاً يوم أسلم أبوه ، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين ، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين . والله أعلم .

---

(١) قلت : ورواه الحاكم (٣/٨٥) من طريق ابن إسحاق ، وقال : «صحيح على شرط مسلم» ، ووافقه الذهبي . ويزداد قوة بأن البخاري أخرجه (٣٨٦٤) من طريق أخرى : عن زيد بن عبدالله ابن عمر عن أبيه : قال : «بينما هو (يعني : عمر) في الدار خائفاً ؛ إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو عليه حلة حبر . . .» الحديث نحوه ، وفيه : «فقال : ما بالك؟ قال : زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت . قال : لا سبيل إليك . بعد أن قالها أمنتُ ، فخرج العاص ، فلقي الناس قد سال بهم الوادي ، فقال : أين تريدون؟ فقالوا : نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ . قال : لا سبيل إليه . فكرَّ الناس» . زاد في طريق أخرى : «فأنا له جار . قال : فرأيت الناس تصدعوا عنه» . ولقد أبعد ابن سيد الناس النجعة في «عيون الأثر» (١/١٢٥) ؛ فلم يذكر الحديث من رواية البخاري ؛ بل من رواية ابن عائذ !

[المستدرك]

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

«اللهم ! أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك : بأبي جهل ؛ أو بعمر بن الخطاب» .

قال : فكان أحبهما إليه عمر .

أخرجه الترمذي (٣٧٦٤) وقال : «حديث حسن صحيح» ، وابن سعد (٢٣٧/٣) ، والحاكم (٨٣/٣) ، وأحمد (٩٥/٢) ، وقال الحاكم : «صحيح الإسناد» ، ووافقه الذهبي ، وهو عنده من طريقين آخرين عن نافع عنه . ثم رواه هو وابن ماجه (١٠٥) من حديث عائشة ، وهو أيضاً من حديث ابن مسعود ، وابن سعد (٢٣٧/٣ و٢٤٢) من حديث عثمان بن الأرقم ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري مرسلاً .

وعن ابن عباس قال :

أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب .

رواه الطبراني ، وإسناده حسن ؛ كما في «المجمع» (٦٣/٩) .

وعن عمر أنه أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! إني لا أدع مجلساً جلسته في الكفر إلا أعلنت فيه الإسلام .

فأتى المسجد ، وفيه بطون قريش متحلقة ، فجعل يعلن الإسلام ، ويشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

فثار المشركون ، فجعلوا يضربونه ويضربهم ، فلما تكاثروا خلصه رجل .

فقلت لعمر : من الرجل الذي خلصك من المشركين؟ قال : ذاك العاص بن وائل السهمي .

رواه الطبراني في «الأوسط» ، ورجاله ثقات ؛ كما قال الهيثمي . [انتهى المستدرك] .

فصل

في ذكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله ﷺ

ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً ، وسرّاً وجهاراً ، منادياً بأمر الله تعالى ، لا يتقي فيه أحداً من الناس .

فجعلت قريش حين منعه الله منها ـ وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني عبدالمطلب دونه ، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به ـ يهمزونه ، ويستهزؤون به ويخاصمونه .

وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم ، وفيمن نصب لعداوته ، منهم من سمى لنا ، ومنهم من نزل القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار .

فذكر ابن إسحاق[1] أبا لهب ونزول السورة فيه[2] ، والعاص بن وائل ونزول قوله : ﴿**أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً**﴾ [مريم : ٧٧] فيه ، وقد تقدم شيء من ذلك[3] .

وأبا جهل بن هشام ، وقوله للنبي ﷺ : لتتركن سب آلهتنا أو لنسبنّ إلهك

(١) سيرة ابن هشام (١/٣٨٠) ، وما قبله من قوله : «فجعلت قريش . . .» هو من كلامه .
(٢) تقدم حديثه (ص١٣٥) .
(٣) انظر (ص١٥٥) .

الذي تعبد . ونزول قول الله فيه : ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ الآية[1] [الأنعام : ١٠٨] .

* * *

(١) «سيرة ابن هشام» (٣٨٣/١) ، وهو عنده معلق كسائر الروايات الآتية عنه في هذا الفصل ، وهذا له شاهدان أخرجهما ابن جرير في «التفسير» (٣٠٩/٧) ؛ أحدهما : من رواية علي بن طلحة عن ابن عباس نحوه ، ليس فيه ذكر أبي جهل ، ورجاله موثقون على انقطاع بين ابن طلحة وابن عباس . والآخر : من رواية السدي مرسلاً مطولاً ، وفيه ذكر أبي جهل وغيره من المشركين ، وفي سنده ضعف .

قال ابن إسحاق : وجلس الرسول ﷺ ـ فيما بلغنا ـ يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش .

فتكلم رسول الله ﷺ ، فعرض له النضر ، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : **﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون . لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون . لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون﴾** [الأنبياء : ٩٨ ـ ١٠٠] .

ثم قام رسول الله ﷺ ، وأقبل عبدالله بن الزِّبَعْرَى السهمي حتى جلس .

فقال الوليد بن المغيرة له : والله ؛ ما قام النضر بن الحارث لابن عبدالمطلب آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أنَّا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم !

فقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى : أما ـ والله ـ لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمداً : أكل من يعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيراً ، والنصارى تعبد عيسى .

فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبعرَى ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم .

فذكر ذلك لرسول الله ﷺ . . . فأنزل الله تعالى : **﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾** [الأنبياء : ١٠١ و١٠٢] ؛ أي : عيسى ابن مريم ، وعزيراً ، ومن عبد من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى .

ونزل ـ فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله ـ : ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون**﴾ ، والآيات بعدها [الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٩] .

ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزِّبَعْرَى : ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون . وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خَصِمُون**﴾[1] [الزخرف : ٥٧ و٥٨] .

وهذا الجدل الذي سلكوه باطل ، وهم يعلمون ذلك ؛ لأنهم قوم عرب ، ومن لغتهم أن (ما) لما لا يعقل ، فقوله : ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**﴾ : إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانت صور أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عزيراً ، ولا أحداً من الصالحين ؛ لأن الآية لا تتناولهم لا لفظاً ولا معنى .

فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل ؛ كما قال الله تعالى : ﴿**ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون**﴾ .

---

(١) علقه ابن إسحاق في «السيرة» (١/٣٨٤ - ٣٨٦) ، ومن طريقه رواه ابن جرير في «التفسير» (١٧/٩٦ - ٩٧) ، ثم وصله من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به مختصراً دون آية الملائكة . وكذلك أخرجه الحاكم (٢/٣٨٤ - ٣٨٥) من طريق عكرمة عنه ، وقال : «صحيح الإسناد» ، ووافقه الذهبي ، وذكره المؤلف في «التفسير» من رواية ابن مردويه والضياء في «المختارة» من طريق أخرى عن عكرمة به أتم منه . وكذا ذكره السيوطي في «الدر» (٤/٣٣٨) ، وزاد أنه أخرجه أبو داود في «ناسخه» وابن المنذر وابن مردويه والطبراني من وجه آخر عن ابن عباس به أتم منه .

ثم قال : ﴿إن هو ﴾ ؛ أي : عيسى ﴿إلا عبد أنعمنا عليه﴾ ؛ أي : بنبوتنا ، ﴿وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾ ؛ أي : دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء ، حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ، ولا من هذا ، وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى ؛ كما قال في الآية الأخرى : ﴿ولنجعله آية للناس﴾ [مريم : ٢١] ؛ أي : أمارة ودليلاً على قدرتنا الباهرة ، ﴿ورحمة منا﴾ نرحم بها من نشاء .

* * *

وذكر ابن إسحاق الوليد بن المغيرة حيث قال : أَيُنْزَلُ على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها؟! ويترك أبو مسعود عمرو بن عمرو[1] الثقفي سيد ثقيف؟! فنحن عظيما القريتين[2] . ونزل قوله فيه : **﴿وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾** والتي بعدها . [الزخرف : ٣١ و٣٢] .

وذكر أُبَيّ بن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط : ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعت منه؟! وجهي من وجهك حرام ؛ إلا أن تتفل في وجهه . ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنه الله ، فأنزل الله : **﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً . يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾** ، والتي بعدها[2] [الفرقان : ٢٧ ـ ٢٩] .

قال[3] : ومشى أبيّ بن خلف بعظم بال قد أرمَّ ، فقال : يا محمد ! أنت تزعم

---

(١) كذا الأصل ، وفي «سيرة ابن هشام» (٣٨٧/١) : «ابن عمير» ، ولعله الصواب ؛ فإنه كذلك وقع في بعض الروايات في «الدر» (١٦/٦) ، وقد أخرج الحديث من رواية ابن جرير (٩٥/٢٥) وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه أيضاً عنه ، ومن رواية بعضهم عن قتادة ومجاهد مرسلاً ؛ على اختلاف في تسمية الرجلين ، وأكثرها على أن الأول هو الوليد بن المغيرة .

(٢) «السيرة» (٤٨٧/١) معلقاً ، وقد وصله أبو نعيم في «الدلائل» (ص١٦٩) من طريق محمد بن مروان عن محمد بن السائب (الأصل : ابن المسيب !) عن أبي صالح عن ابن عباس به ، وفيه قصة ، وقد ذكره السيوطي في «الدر» (٦٨/٥) بتمامه ، وهو واه بمرة ؛ لأن المحمدين متهمان بالكذب ؛ لكن يشهد له حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس الآتي في (المستدرك) .

(٣) يعني : ابن إسحاق (٤٨٧/١ - ٤٨٨) معلقاً ، ووصله ابن جرير (٣٠/٢٣) من رواية مجاهد وقتادة مرسلاً ، وأسنده ابن مردويه عن ابن عباس ؛ كما في «الدر المنثور» (٢٦٩/٥) =

أن الله يبعث هذا بعد ما أرمّ؟! ثم فته بيده ، ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ ، فقال :

«نعم ؛ أنا أقول ذلك ؛ يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلك النار» .

وأنزل الله تعالى : **﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يُحْيِي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾** إلى آخر السورة [يس : ٧٨ ـ ٨٣] .

قال[1] : واعترضَ رسولَ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ وهو يطوف عند باب الكعبة الأسودُ بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل ، فقالوا : يا محمد ! هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت في الأمر !

= بروايتين عنه . ورواه ابن جرير أيضاً من رواية سعيد بن جبير مرسلاً بلفظ : «جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ؛ ففته بين يديه ، فقال : يا محمد ! . . .» الحديث . وسنده صحيح مرسل ؛ لكن أسنده الحاكم (٢/٤٢٩) عنه عن ابن عباس ، وقال : «صحيح على شرط الشيخين» ، ووافقه الذهبي والضياء في «المختارة» .

(١) ابن إسحاق في «السيرة» (١/٣٨٨) معلقاً ، وقد وصله ابن جرير (٣٠/٣٣١) عنه : ثني سعيد بن ميناء مولى البختري قال : لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ! هلم . . . الحديث بأتم منه . وهو مرسل صحيح الإسناد ، ويقويه حديث ابن عباس : إن قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً ، فيكون أغنى رجل بـ (مكة) ، ويزوجوه ما أراد من النساء ، ويطؤوا عقبه ، فقالوا : هذا لك عندنا . . . الحديث ، ويأتي بتمامه في (المستدرك) .

فأنزل الله فيهم : ﴿قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون﴾ إلى آخرها .

قال[1] : ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله ﷺ ، ورسول الله يكلمه ، وقد طمع في إسلامه .

فمر به ابن أم مكتوم : عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة الأعمى ، فكلم رسول الله ﷺ ، وجعل يستقرئه القرآن ، فشق ذلك عليه حتى أضجره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه .

---

(١) في «السيرة» (١/٣٨٩ - ٣٩٠) معلقاً ، وقد وصله ابن سعد (٤/٢٠٨) من طريق هشام ابن عروة عن أبيه قال : كان النبي ﷺ جالساً مع رجال من قريش فيهم عتبة بن ربيعة وناس من وجوه قريش . . . الحديث نحوه . وإسناده صحيح مرسل ، وقد أسنده الترمذي (٣٣٨٧) ، وابن جرير (٣٠/٥٠) ، والحاكم (٢/٥١٤) من طريق أخرى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : فذكره . وقال الترمذي : «حديث حسن غريب» . وقال الحاكم : «صحيح على شرط الشيخين ، وقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة» . قال الذهبي : «وهو الصواب» .

قلت : لكنه يتقوى بشواهد له ذكرها السيوطي في «الدر» (٦/٣١٤ - ٣١٥) ؛ منها : ما عند ابن جرير (٣٠/٥١) ، وابن مردويه عن ابن عباس قال : بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة والعباس بن المطلب وأبا جهل بن هشام - وكان يتصدى لهم كثيراً ويحرص أن يؤمنوا - فأقبل إليه رجل أعمى . . الحديث نحوه .

ومنها : ما أخرجه عبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، وأبو يعلى عن أنس قال : جاء ابن أم مكتوم إلى النبي ﷺ وهو يكلم أبي بن خلف ، فأعرض عنه ، فأنزل الله : ﴿عبس وتولى . أن جاءه الأعمى﴾ ، فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه .

إلى غير ذلك من الشواهد الآتي الإشارة إلى بعضها .

فأنزل الله تعالى : ﴿عبس وتولى . أن جاءه الأعمى﴾ إلى قوله : ﴿مرفوعة مطهرة﴾ [عبس : ١ - ١٤] .

وقد قيل : إن الذي كان يحدث رسول الله ﷺ حين جاءه ابن أم مكتوم : أمية بن خلف . فالله أعلم[١] .

[المستدرك]

عن علي رضي الله عنه قال :

قال أبو جهل للنبي ﷺ : قد نعلم يا محمد ! أنك تصل الرحم ، وتصدق الحديث ، ولا نكذبك ، ولكن نكذب الذي جئت به . فأنزل الله عز وجل : ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ [الأنعام : ٣٦] .

أخرجه الترمذي (٥٠٥٨) ، والحاكم (٢/٣١٥) وقال : «صحيح على شرط الشيخين»[٢] .

---

(١) قلت : روي ذلك من حديث أبي مالك مرسلاً عند سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر ، ومن حديث مجاهد مرسلاً عند الأخيرين ، ولا منافاة ؛ لأنه من رجال قريش المشار إليهم في حديث عائشة . والله أعلم .

(٢) وتعقبه الذهبي بقوله : «قلت : ما خرجا لناجية شيئاً» . قلت : ثقة ؛ فلا يضر صحته ؛ لكن أخرجه الترمذي وابن جرير أيضاً (٧/١٨٢) عنه مرسلاً لم يذكر فيه ابن عباس ، وقال الترمذي : «هذا أصح» ؛ يعني : لأن ابن مهدي ويحيى بن آدم روياه عن سفيان عن أبي إسحاق عن ناجية به . لكن قد ذكره ابن كثير من رواية سفيان به عن ابن عباس ، وهي رواية الترمذي الأولى ، ويقويها أنه تابعه عند الحاكم إسرائيل عن أبي إسحاق به . وكأنه لذلك أخرجه الضياء في «المختارة» .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما :

أن أبا معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بـ (مكة) لا يؤذيه ، وكان رجلاً حليماً ، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه ، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام ، فقالت قريش : صبأ أبو معيط .

وقدم خليله من الشام ليلاً ، فقال لامرأته : ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت : أشد مما كان أمراً . فقال : ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت : صبا .

فبات بليلة سوء ، فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه ، فلم يرد عليه التحية . فقال : ما لك لا ترد عليَّ تحيتي؟ فقال : كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوتَ؟!

قال : أو قد فعلتها قريش؟! قال : نعم .

قال : فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت؟

قال : تأتيه في مجلسه ، وتبزق في وجهه ، وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم !

ففعل ، فلم يزد النبي ﷺ أن مسح وجهه من البزاق ، ثم التفت إليه فقال : «إن وجدتك خارجاً من جبال (مكة) أضرب عنقك صبراً» .

فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج .

فقال له أصحابه : اخرج معنا .

قال : قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال (مكة) أن يضرب عنقي صبراً .

فقالوا : لك جمل أحمر لا يدرك ، فلو كانت الهزيمة طرت عليه .

فخرج معهم ، فلما هزم الله المشركين ، وحل به جمله في جدد[1] من الأرض ؛ فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش ، وقدم إليه أبو معيط ، فقال : تقتلني من بين هؤلاء؟ قال :

«نعم ؛ بما بزقت في وجهي» .

فأنزل الله في أبي معيط[2] : ﴿**ويوم يعضُّ الظالم على يديه**﴾ إلى قوله : ﴿**وكان الشيطان للإنسان خذولاً**﴾ [الفرقان : ٢٧ ـ ٢٩] .

أخرجه ابن مردويه ، وأبو نعيم في «الدلائل» بسند صحيح من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس ؛ كما في «الدر المنثور» (٥/٦٨) .

وعن ابن عباس أيضاً :

إن قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً ؛ فيكون أغنى رجل بـ (مكة) ، ويزوجوه ما أراد من النساء ، ويطؤوا عقبه ، فقالوا له : هذا لك عندنا يا محمد ! وكف عن شتم آلهتنا ، فلا تذكرها بسوء .

فإن لم تفعل ؛ فإنا نعرض عليك خصلة واحدة ، فهي لك ولنا فيها صلاح .

قال : «ما هي؟» .

---

(١) (الجدد) بالفتح : الأرض المستوية .

(٢) قلت : الظاهر أنها كنية عقبة بن أبي معيط ؛ كما تقدم في رواية ابن إسحاق (ص٢٠٠) ، وذكرت هناك أن هذا شاهد له .

قالوا : تعبد آلهتنا سنة : اللات والعزى ، ونعبد إلهك سنة . قال : «حتى أنظر ما يأتي من عند ربي» .

وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى : **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾** [الحج : ٥٢] .

وذكروا قصة الغرانيق ، وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحاً ؛ لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها[1] .

إلا أن أصل القصة في «الصحيح» .

روى البخاري دون مسلم عن ابن عباس قال :

فجاء الوحي من اللوح المحفوظ : **﴿قل يا أيها الكافرون﴾** السورة ، وأنزل الله : **﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾** إلى قوله : **﴿فاعبد وكن من**

---

(١) قلت : عبارة المصنف في (تفسير آية الحج) أصرح في رد القصة وأتم ؛ حيث قال :

«قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ؛ ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح . والله أعلم» .

قلت : وقد حققت ذلك رواية ودراية بما لم أسبق إليه ـ فيما علمت ـ في رسالتي «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» ، وهي مطبوعة ، فلتراجع فإنها هامة . ولا بد من التنبيه هنا إلى خطأ فاحش وقع فيه الشيخ (أبو زهرة) ؛ حيث عزا في موضعين من كتابه (١/٤١٥ و٤١٧) قصة الغرانيق هذه لـ «صحيح البخاري» ! وإنما عنده ما يأتي قريباً مما لا صلة له بها !

الشاكرين﴾ [الزمر: ٦٤ - ٦٦] .

أخرجه ابن جرير (٣٣١/٣٠) ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ؛ كما في «الدر» (٤٠٤/٦) ، وإسناده حسن . [انتهى المستدرك] .

* * *

ثم ذكر ابن إسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى (مكة) .

وذلك حين بلغهم إسلام أهل (مكة) ، وكان النقل ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب .

وهو ما ثبت في «الصحيح» وغيره : أن رسول الله ﷺ جلس يوماً مع المشركين ، وأنزل الله عليه : ﴿**والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم . . .**﴾ يقرؤها عليهم حتى ختمها ، وسجد ، فسجد من هناك من المسلمين والمشركين ، والجن والإنس[1] .

سجد النبي ﷺ بـ (النجم) ، وسجد معه المسلمون ، والمشركون ، والجن ، والإنس[2] .

وروى هو ومسلم وأبو داود والنسائي[3] عن عبدالله (ابن مسعود) قال :

---

(١) قلت : سجود المشركين هذا معه ﷺ صحيح بلا ريب ؛ كما يأتي قريباً تخريجه ، ولكن السياق المذكور وعزوه لـ «الصحيح» فيه عندي نظر ؛ لأنه ليس فيه ، ولا في شيء من الروايات الأخرى التي وقفت عليها ، وظني أنه من كلام المؤلف رواه بالمعنى .

وأما بلوغ ذلك إلى مهاجرة الحبشة ، وأنهم عادوا من أجل ذلك إلى (مكة) ؛ فمما لم أقف عليه في رواية صحيحة ، وإنما هي مراسيل لا تقوم بها حجة ، وفيها ذكرت قصة الغرانيق الآتي الإشارة إليها .

(٢) البخاري (رقم ١٠٧١ و٤٨٦٢) ، واستدركه عليه الحاكم (٤٦٨/٢) فوهم ، وأخرجه الترمذي أيضاً (٥٧٢) ، وقال : «حديث حسن صحيح» .

(٣) قلت : النسائي إنما رواه مختصراً جداً بلفظ : «قرأ (النجم) فسجد فيها» . وأخرجه بتمامه البخاري (١٠٦٧ و١٠٧٠ و٣٨٥٣ و٣٩٧٢ و٤٨٦٣) ، ومسلم (٥٧٦) ، وأبو داود (١٤٠٦) ، والدرامي (٣٤٢/١) أيضاً ، والطيالسي في «مسنده» (٢٨٣) ، وأحمد (٣٨٨/١ و٤٠١ و٤٣٧ و٤٤٣ و٤٦٢) ، وقال الترمذي : «حديث حسن صحيح» .

قرأ النبي ﷺ : ﴿والنجم﴾ بـ (مكة) ، فسجد فيها وسجد من معه ؛ غير شيخ أخذ كفّاً من حصاً أو تراب فرفعه إلى جبهته ، وقال : يكفيني هذا . فرأيته بَعْدُ قُتِلَ كافراً[1] .

وروى أحمد وعنه النسائي عن المطلب بن أبي وداعة قال :

قرأ رسول الله ﷺ بـ (مكة) سورة (النجم) ، فسجد ، وسجد من عنده ، فرفعت رأسي وأبيت أن أسجد .

ولم يكن أسلم يومئذٍ المطلب ، فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرؤها إلا سجد معه[2] .

وقد يجمع بين هذا والذي قبله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً ، وذلك الشيخ الذي استثناه ابن مسعود لم يسجد بالكلية . والله أعلم .

والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله ﷺ ؛ اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ، ولم يبق نزاع بينهم .

فطار الخبر بذلك ، وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها ، فظنوا صحة ذلك ،

---

(١) قلت : زاد البخاري في رواية : «وهو أمية بن خلف» ، وانظر : «مختصر البخاري» (٥٥٦) . وأمية هذا قتل في غزوة بدر ؛ كما سيأتي فيها . قال الحافظ (٥٥١/٢) : «ووقع في «سيرة ابن إسحاق» : أنه الوليد بن المغيرة ، وفيه نظر ؛ لأنه لم يقتل» . قلت : بل هو باطل لمخالفته لرواية البخاري هذه . وعن ابن إسحاق رواه ابن جرير في «التفسير» (١٨٧/١٧) .

(٢) «المسند» (٤٢٠/٣) ، وعنه النسائي (١٢٣/٢) ، وكذا الحاكم (٦٣٣/٣) ، وإسناده صحيح ؛ كما قال الحافظ في «الفتح» (٦١٥/٨) ، ومن العجيب أن الحاكم والذهبي بيضا له !!

فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك ، وثبتت جماعة ، وكلاهما محسن مصيب فيما فعل .

وقال البخاري :

وقالت عائشة : قال رسول الله ﷺ :

«أريت دار هجرتكم ؛ ذات نخل بين لابتين» .

فهاجر من هاجر قِبلَ (المدينة) ، ورجع من كان هاجر بأرض الحبشة إلى (المدينة) .

وفيه عن أبي موسى وأسماء رضي الله عنهما عن النبي ﷺ [1] .

وقد تقدم حديث أبي موسى (ص١٧٠) ، وهو في «الصحيحين» ، وسيأتي حديث أسماء بنت عميس بعد فتح (خيبر) حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة ؛ إن شاء الله ، وبه الثقة .

وروى البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم وأبو داود والنسائي عن عبدالله قال :

كنا نسلم على النبي ﷺ وهو يصلي ، فيرد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه ، فلم يرد علينا . فقلنا : يا رسول الله ! إنا كنا نسلم عليك فترد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشي لم تردَّ علينا؟ قال :

---

(١) قلت : هذا كله من قول البخاري علقه في «صحيحه» (١٨٦/٧ - ١٨٧) تحت (٣٧ - باب هجرة الحبشة) ، وحديث عائشة قد وصله البخاري في موضعين منه ، وسأشير إليهما حين يسوقه المؤلف بتمامه في (هجرته ﷺ إلى المدينة) . وحديث أبي موسى تقدم موصولاً هناك ، وأما حديث أسماء ؛ فسيأتي في رواية لأبي موسى ؛ حيث أشار إليه المؤلف رحمه الله تعالى .

«إن في الصلاة شغلاً»[١] .

وهو يقوي تأويل من تأول حديث زيد بن أرقم الثابت في «الصحيحين» :

كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله تعالى : ﴿وقوموا لله قانتين﴾ ، فأُمرنا بالسكوت ، ونُهينا عن الكلام[٢] .

على أن المراد جنس الصحابة ، فإن زيداً أنصاري مدني ، وتحريم الكلام في الصلاة ثبت بـ (مكة) ، فتعين الحمل على ما تقدم .

وأما ذكره الآية ـ وهي مدنية ـ فمشكل ، ولعله اعتقد أنها المحرمة لذلك ، وإنما كان المحرم له غيرها معها . والله أعلم[٣] .

(١) قلت : وهو مخرج في كتابي «صحيح أبي داود» (٨٥٦) .

(٢) قلت : وهو مخرج في «إرواء الغليل» (٣٩٣) .

(٣) قلت : إنما جاء الإشكال من توهم أن رجوع ابن مسعود كان إلى (مكة) ، ولا دليل على ذلك ، والذي رجحه الحافظ أن رجوعه إلى (المدينة) ، واستدل على ذلك بأمرين ؛ أحدهما : حديثه الطويل في الهجرة إلى الحبشة ، وقد مر (١٦٤ ـ ١٦٦) ، وفي آخره : «ثم تعجل ابن مسعود حتى أدرك بدراً» . وراجع «الفتح» (٣/٧٤) .

ذكر عزم الصديق على الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ـ كما حدثني محمد بن مسلم الزهري عن عروة عن عائشة ـ حين ضاقت عليه (مكة) ، وأصابه فيها الأذى ، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى ؛ استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة ؛ فأذن له .

فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً ؛ حتى إذا سار من (مكة) يوماً أو يومين لقيه ابن الدَّغِنَة ـ أخو بني الحارث بن يزيد ؛ أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ـ وهو يومئذ سيد الأحابيش .

[قال ابن إسحاق : و(الأحابيش) : بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، والهُون بن خزيمة بن مدركة ، وبنو المصطلق من خزاعة .

قال ابن هشام : تحالفوا جميعاً ، فسموا الأحابيش ؛ لأنهم تحالفوا بوادٍ يقال له : (الأحبش) بأسفل (مكة) للحلف] .

فقال [ابن الدغنة] : إلى أين يا أبا بكر؟

قال : أخرجني قومي ، وآذوني ، وضيقوا عليّ .

قال : ولم؟ والله ؛ إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف ، وتُكسب المعدوم ، ارجع فإنك في جواري .

فرجع معه ، حتى إذا دخل (مكة) قام معه ابن الدَّغِنة فقال : يا معشر قريش ! إني قد أجرت ابن أبي قحافة ، فلا يعرض له أحد إلا بخير .

قال : فكفوا عنه .

قالت : وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جُمَح ، فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً ؛ إذا قرأ القرآن استبكى .

قالت : فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء ؛ يعجبون لما يرون من هيئته .

قال : فمشى رجال من قريش إلى ابن الدَّغنة ، فقالوا : يا ابن الدَّغنة ! إنك لم تُجِر هذا الرجل ليؤذينا ! إنه رجل إذا صلى وقرأ يرقُّ وكانت له هيئة ، ونحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم ، فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء .

قالت : فمشى ابن الدَّغِنَّة إليه فقال : يا أبا بكر ! إني لم أجرك لتؤذي قومك ، وقد كرهوا مكانك الذي أنت به ، وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت .

قال : أو أرد عليك جوارك ، وأرضى بجوار الله .

قال : فاردد عليّ جواري . قال : قد رددته عليك .

قال : فقام ابن الدَّغنة فقال : يا معشر قريش ! إن ابن أبي قحافة قد رد عليّ جواري ، فشأنكم بصاحبكم[1] .

وقد روى الإمام البخاري هذا الحديث منفرداً به[2] ، وفيه زيادة حسنة ،

---

(١) قلت : إسناده جيد ، ويقويه رواية البخاري التي بعده .

(٢) أي : ولم يروه مسلم ، وهو كما قال ، أخرجه البخاري (٤٧٦ و٢١٣٨ و٢٢٦٣ و٢٢٦٤ و٢٢٩٧ و٣٩٠٥ و٤٠٩٣ و٥٨٠٧ و٦٠٧٩) مختصراً ومطولاً ، وروى أحمد (١٩٨/٦) بعضه .

أخرجه عن عُقيل : قال ابن شهاب : فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت :

لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار : بكرة وعشية ، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ (بَرك الغِماد)[1] لقيه ابن الدَّغنة ، وهو سيد (القارة)[2] ، فقال : أين تريد يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر : أخرجني قومي ، فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي .

فقال ابن الدَّغنة : فإن مثلك يا أبا بكر ! لا يَخْرُجُ ، ولا يُخْرَجُ مِثْلُهُ ، إنك تُكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتَقْرِي الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وأنا لك جار ، فارجع فاعبد ربك ببلدك .

فرجع وارتحل معه ابن الدَّغنة ، وطاف ابن الدغنة في أشراف قريش ، فقال لهم : إن أبا بكر لا يَخْرُجُ مِثْلُهُ ولا يُخْرَجُ ، أتخرجون رجلاً يُكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكَلَّ ، ويَقْرِي الضيف ، ويعين على نوائب الحق؟!

فلم تكذِّب قريش بجوار ابن الدَّغِنة ، وقالوا لابن الدَّغِنة : مر أبا بكر فليعبد ربه في داره ، وليصلِّ فيها ، وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ، ولا يستعلن به ، فإنا نخشى أن يَفْتِنَ نساءنا وأبناءنا .

فقال ابن الدَّغِنة ذلك لأبي بكر .

---

(١) موضع وراء (مكة) بخمس ليالٍ مما يلي البحر .

(٢) قبيلة مشهورة ، يضرب بهم المثل في قوة الرمي ، فيقال : قد أنصف القارة من راماها .

فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ في غير داره .

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيتقذف [عليه][1] نساء المشركين وأبناؤهم ؛ يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكّاءاً لا يملك عينه إذا قرأ القرآن .

فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدَّغِنة ، فقدم عليهم ، فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك ؛ فابتنى مسجداً بفناء داره ، فأعلن الصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتتن أبناؤنا ونساؤنا ، فانْهَهُ ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك ؛ فسله أن يرد عليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان .

قالت عائشة : فأتى ابن الدَّغِنة إلى أبي بكر فقال : قد علمت الذي قد عاقدتك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن ترد إليّ ذمتي ، فإني لا أحب أن تسمع العرب أنى أُخفرتُ في رجل عقدتُ له .

فقال أبو بكر : فإني أرد عليك جوارك ، وأرضى بجوار الله عز وجل .

ثم ذكر تمام الحديث في هجرة أبي بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ ؛ كما سيأتي مبسوطاً .

---

(١) قلت : وفي لفظ : «فيتقصّف» ؛ أي : يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر ، وأطلق (يتقصف) مبالغة ، قال الخطابي : «هذا هو المحفوظ» . كذا في «الفتح» (٧/٢٣٤) .

فصل

وقد ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله قصة الطفيل بن عمرو الدوسي مرسلة بدون إسناد .

وكان سيداً مطاعاً شريفاً في (دَوْس) ، وكان قد قدم (مكة) ، فاجتمع به أشراف قريش ، وحذروه من رسول الله ﷺ ، ونهوه أن يجتمع به ، أو يسمع كلامه .

روى الإمام أحمد والبخاري[1] عن أبي هريرة قال :

لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله ﷺ قال : إن دوساً قد استعصت [وأبت ، فادع الله عليهم . فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ، ورفع يديه ، فقال الناس : هلكوا] ، قال :

«اللهم ! اهد دوساً ، وائت بهم ، [اللهم ! اهد دوساً ، وائت بهم]» .

---

(١) أحمد في «المسند» (٢/٢٤٣ و٤٤٨) ، والبخاري (٢٩٣٧ و٤٣٩٢ و٦٣٩٧) ، ومسلم أيضاً (٢٥٢٤) ، والحميدي في «مسنده» (١٠٥٠) ، والزيادة له ، ورواية لأحمد ؛ أخرجوه جميعاً من طريق الأعرج عن أبي هريرة ، والرواية الآتية لأحمد (٢/٥٠٢) هي من رواية أبي سلمة عن أبي هريرة ، وهي لا تختلف عن الأولى بعد ضم الزيادة إليها ، ولو أن المؤلف اطلع عليها لم يكن به من حاجة لذكرها ؛ لا سيما وهي دونها في الصحة .

قصة مصارعة ركانة

روى أبو داود والترمذي[1] عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه :

أن ركانة صارع النبي ﷺ ، فصرعه النبي ﷺ .

وقال الترمذي : «غريب» .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعي بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما :

أن يزيد بن ركانة صارع النبي ﷺ ، فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرات ؛ كل مرة على مائةٍ من الغنم ، فلما كان في الثالثة قال : يا محمد ! ما وضع ظهري إلى الأرض أحد قبلك ، وما كان أحد أبغض إلي منك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله .

فقام عنه رسول الله ﷺ ، ورد عليه غنمه .

* * *

(١) أبو داود (٤٠٧٧) ، والترمذي (١٨٤٤) ، وكذا الحاكم (٤٥٢/٣) ، وسكت عنه هو والذهبي ، وإنما استغربه الترمذي ؛ لأن فيه ثلاثة مجهولين على التسلسل ؛ لكن يشهد له ما بعده .

قال ابن إسحاق[1] :

وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد ، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خباب ، وعمار ، وأبو فكيهة يسار مولى صفوان بن أمية ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين ؛ هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ! أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق؟! لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه ، وما خصهم الله به دوننا !

فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين . وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم**﴾ [الأنعام : ٥٢ ـ ٥٤] .

قال[2] : وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له : جبر ؛ عبد لبني الحضرمي ، وكانوا يقولون : والله ؛ ما يعلّم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر .

---

(١) قلت : هكذا معلقاً ذكره في «السيرة» (٢/٣٣) ، وإنما ذكرته لشواهده التي سأذكرها في (المستدرك) .

(٢) هذا أيضاً معلق عنده (٢/٣٣) ، وقد رواه ابن جرير في «التفسير» (١٤/١٧٨) عن ابن إسحاق به . وقد أسنده الحاكم (٢/٣٥٧) من حديث ابن عباس ، وقال : «صحيح الإسناد» ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا . وله شاهد من رواية عبدالله بن كثير .

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿**إنما يعلمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**﴾ [النحل : ١٠٣] .

ثم ذكر[1] نزول سورة (الكوثر) في العاص بن وائل حين قال عن رسول الله ﷺ : إنه أبتر . أي : لا عقب له ؛ فإذا مات انقطع ذِكْره ، فقال الله تعالى : ﴿**إن شانئك هو الأبتر**﴾ .

أي : المقطوع الذِكْر بعده ؛ ولو خلف ألوفاً من النسل والذرية ، وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الأولاد والأنسال والعقب . وقد تكلمنا على هذه السورة في «التفسير» ، ولله الحمد .

[ثم روى ابن إسحاق (٢/٣٥) بإسناده الصحيح عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ وقيل له : يا رسول الله ! ما الكوثر الذي أعطاك الله؟ قال :

«نهر كما بين (صنعاء) إلى (أيلة) ، آنيته كعدد نجوم السماء ، ترده طيور لها أعناق كأعناق الإبل» .

قال : يقول عمر بن الخطاب : إنها يا رسول الله ! لناعمة . قال :

«آكلُها أنعمُ منها»[2] .

---

(١) يعني : ابن إسحاق بغير إسناد (٢/٣٤) ، وقد وصله ابن جرير (٣٠/٣٢٩) .

(٢) قلت : وأخرجه أحمد (٣/٢٢٠ - ٢٢١ و٢٣٦ و٢٣٧) ، والترمذي (٢٦٦٥) وحسنه ، والحاكم (٢/٥٣٧) . وفي رواية لأحمد : «أبو بكر» مكان «عمر» ، وهي منكرة ، وهي في حديث آخر عنده (٣/٢٢١) ، وفي سندها ضعف .

قال ابن إسحاق :

وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال ﷺ :

«من شرب منه لا يظمأ أبداً»][1] .

قلت : وقال الله تعالى : ﴿ولقد كُذِّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذِّبُوا وأُوذُوا حتى أتاهم نصرُنا ولا مُبدلَ لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ [الأنعام : ٣٤] .

وقال تعالى : ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ [الحجر : ٩٥] .

قال سفيان : عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

المستهزؤون : الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث الزهري ، والأسود بن المطلب أبو زمعة ، والحارث بن عيطل[2] ، والعاص بن وائل السهمي .

فأتاه جبريل ، فشكاهم إليه رسول الله ﷺ ، فأراه الوليد ، فأشار جبريل إلى أكحله[3] ، وقال : كُفِيتَهُ .

---

(١) قلت : هذا طرف من حديث الحوض ، وفيه يصب الكوثر ، وهو في «الصحيحين» وغيرهما عن جمع من الصحابة ، وهو مخرج في «ظلال الجنة» (٧٢٨) ، وما بين المعكوفتين زيادة من «السيرة» .

(٢) كذا الأصل ، وكذلك هو في «مجمع الزوائد» : بالمثناة من تحت ، وفي «الدر المنثور» : بالموحدة .

(٣) الأصل هنا وفيما يأتي : «أنمله» ، وما أثبته من «الدر» ، وفي «المجمع» : «أبجله» .

ثم أراه الأسود بن المطلب ، فأومأ إلى عينيه[1] ، وقال : كُفِيتَهُ .

ثم أراه الحارث بن عيطل ، فأومأ إلى بطنه ، وقال :

كُفيته .

ومر به العاص بن وائل ، فأومأ إلى أخمصه[2] ، وقال :

كفيته .

فأما الوليد ؛ فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له ، فأصاب أكحله ، فقطعها .

وأما الأسود بن عبد يغوث ؛ فخرج في رأسه قروح ؛ فمات منها .

وأما الأسود بن المطلب فعمي ، وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة ، فجعل يقول : يا بَنِيَّ ! ألا تدفعون عني؟ قد قتلت ! فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً . وجعل يقول : يا بَنِيَّ ! ألا تمنعون عني؟ قد هلكت ! ها هو ذا الطعن بالشوك في عيني . فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه .

وأما الحارث بن عيطل ؛ فأخذه الماء الأصفر في بطنه ؛ حتى خرج خرؤه من فيه ؛ فمات منها .

---

(١) الأصل : «عنقه» ، والتصويب من «الدر» ، ومن آخر الحديث .

(٢) «الأخمص» : باطن القدم الذي يتجافى عن الأرض .

وأما العاص بن وائل ؛ فبينما هو كذلك يوماً ؛ إذ دخل في رجله[1] شِبْرِقَةٌ حتى امتلأت منها ؛ فمات منها .

وقال غيره[2] في هذا الحديث .

فركب إلى الطائف على حمار ، فربض[3] به على شِبْرِقَةٍ (يعني : شوكة) ، فدخلت في أخمص قدمه شوكة ، فقتلته .

رواه البيهقي بنحو من هذا السياق[4] .

[المستدرك]

عن خباب قال :

جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفَزاري ، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناسٍ من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حَقَرُوهم ، فأتوه فخلوا به ، وقالوا : إنا نريد أن تجعل

---

(١) الأصل : «رأسه» ، والتصويب من «المجمع» ، ويؤيده ما تقدم ويأتي . و«الشبرقة» واحدة (الشِّبْرِق) : نبت حجازي يؤكل وله شوك .

(٢) لا أدري من عنى بـ «غيره» ، وهو يعني : أحد رواة الإسناد ، وهو صحيح إن سلم ممن دون سفيان .

(٣) أي : برك .

(٤) قلت : يعني : في «الدلائل» ؛ كما في «الدر» (٤/١٠٧) ، وزاد في تخريجه : «الطبراني في «الأوسط» ، وابن مردويه بسند حسن ، والضياء في (المختارة)» . ورواه ابن جرير (١٤/٧٠) عن سعيد ابن جبير مرسلاً . وقال الهيثمي (٧/٤٧) في حديث ابن عباس : «رواه الطبراني في «الأوسط» ، وفيه محمد بن عبدالحكيم النيسابوري ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات» .

لنا مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا ؛ فإن وفود العرب تأتيك ، فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأَعْبُدِ ! فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال :

«نعم» .

قالوا : فاكتب لنا عليك كتاباً .

قال : فدعا بصحيفة ، ودعا عليّاً ليكتب ـ ونحن قعود في ناحية ـ فنزل جبرائيل عليه السلام فقال : **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾** [الأنعام : ٥٢] .

ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال : **﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾** [الأنعام : ٥٣] . ثم قال : **﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾** [الأنعام : ٥٤] ، [فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده ثم دعانا] .

قال : فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته ، [وهو يقول : **﴿سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾**] .

وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فأنزل الله : **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ يريدون وجهه ولا تَعْدُ**

عيناك عنهم﴾ : ولا تجالس الأشراف **﴿تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾** ؛ يعني : عيينة والأقرع **﴿واتبع هواه وكان أمره فُرُطاً﴾** : قال : هلاكاً ؛ قال : أمرُ عيينة والأقرع ، ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا .

قال خباب : فكنا نقعد مع النبي ﷺ ، فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها ؛ قمنا وتركناه حتى يقوم .

أخرجه ابن ماجه (٤١٢٧) ، والسياق له ، وابن جرير (٢٠١/٧) ، وابن أبي شيبة أيضاً ، وأبو يعلى ، وأبو نعيم في «الحلية» ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في «الدلائل» ؛ كما في «الدر المنثور» (١٣/٣) ، وإسناده صحيح كما قال البوصيري . وله شاهد عن ابن مسعود مختصراً . أخرجه أحمد (٤٢٠/١) ، وابن جرير (٢٠٠/٧) من طريق أشعث عن كردوس الثعلبي عنه . وسنده صحيح إن كان أشعث بن أبي الشعثاء . ثم ترجح عندي أنه ابن سوار ، وفيه ضعف ؛ لأنه ممن رواه عن حفص بن غياث .

عن سعد قال :

كنا مع النبي ﷺ ستة نفر ، فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا .

قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما ، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع ، فحدث نفسه ، فأنزل الله عز وجل : **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾** [الأنعام : ٥٢] .

أخرجه مسلم (٢٤١٣) ، وابن ماجه (٤١٢٨) ، وابن جرير (٢٠٢/٧) ، والحاكم (٣١٩/٣) وقال : «صحيح على شرط الشيخين» ، ووافقه الذهبي ، وعزاه المؤلف في «التفسير» لابن حبان والحاكم فقط ! وعزاه في «الدر» (١٣/٣) لجمع آخر منهم أحمد ، ولم أره في «مسنده» .

وعن ابن عباس قال :

لما قدم كعب بن الأشرف (مكة) أتوه ، فقالوا له : نحن أهل السقاية والسدانة ، وأنت سيد أهل (المدينة) ، فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا؟ قال : بل أنتم خير منه ! فنزلت عليه : ﴿**إن شانئك هو الأبتر**﴾ .

قال : وأنزلت عليه : ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة و يريدون أن تضلوا السبيل . والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليّاً وكفى بالله نصيراً**﴾ [النساء : ٤٤ و٤٥] .

أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٣٣٠/٣٠) بإسناد صحيح رجاله رجال «الصحيح» ، وقال المؤلف في «التفسير» : «رواه البزار ، وإسناده صحيح» . وفي «المجمع» (٦/٧) : «رواه الطبراني ، وفيه يونس بن سليمان الجمال ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال (الصحيح)» .

قلت : قد توبع عند الأولين ، فصح الحديث ، والحمد لله . [انتهى المستدرك] .

فصل

وذكر البيهقي ها هنا دعاء النبي ﷺ على قريش حين استعصت عليه بسبع مثل سبع يوسف .

وأورد ما أخرجاه في «الصحيحين» عن ابن مسعود قال :

خمس [قد] مضين : اللزام ، والروم ، والدخان ، والبطشة ، والقمر[1] .

وفي رواية عن ابن مسعود قال :

إن قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ ، وأبطؤوا عن الإسلام ؛ قال : «اللهم ! أَعِنِّي عليهم بسبع كسبع يوسف» .

قال : فأصابتهم سَنَةٌ حتى حَصَّتْ[2] كلَّ شيء ، حتى أكلوا الجيف ، وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع ، ثم دعا ، فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبدالله هذه الآية : **﴿إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾** [الدخان : ١٥] .

قال : فعادوا فكفروا ، فَأُخِّرُوا إلى يوم بدر[3] .

---

(١) البخاري (٤٧٦٧ و٤٨٢٠ و٤٨٢٥) ، ومسلم (٤١/٢٧٩٨) ، وابن جرير في «التفسير» (١٢/٢٥) .

(٢) [أي : استأصلت] . الناشر .

(٣) الأصل : «فَأُخِّرُوا إلى يوم القيامة ، أو قال : فَأُخِّرُوا إلى يوم بدر» . وهو خطأ ظاهر ؛ لأنه لا يمكن أن يكون من كلام ابن مسعود وهو يجزم عقبه مباشرة برد أن ذلك يكون يوم القيامة ، ويقطع بأنه كان يوم بدر ، وهو الذي تدل عليه كل روايات الحديث عند الشيخين وغيرهما ؛ بل في بعضها أنه إنما ساق الحديث للرد على من تأول آية الدخان بأنها يوم القيامة ، فعند مسلم =

قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم ؛ ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ [الدخان : ١٦] ؛ قال : يوم بدر[1] .

وفي رواية عنه قال :

لما رأى رسول الله ﷺ من الناس إدباراً قال :

«اللهم ! سبع كسبع يوسف» .

فأخذتهم سَنَةٌ ؛ حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام ، فجاءه أبو سفيان وناس من أهل (مكة) ، فقالوا : يا محمد ! إنك تزعم أنك بعثت رحمة ، وإن قومك قد هلكوا ؛ فادع الله لهم .

= (٤٠/٢٧٩٨) عن مسروق قال :

جاء إلى عبدالله رجل فقال : تركت في المسجد رجلاً يفسر القرآن برأيه ، يفسر هذه الآية : ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ [الدخان : ١٠] ؛ قال : يأتي الناس يوم القيامة دخان ، فيأخذ بأنفاسهم حتى يأخذهم منه كهيئة الزكام . فقال عبدالله : من علم علماً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم . فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به : الله أعلم . إنما كان هذا ؛ أن قريشاً لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم قحط وجهد ؛ حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء ؛ فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، وحتى أكلوا العظام ... الحديث . وزاد البخاري في رواية بعد آية العذاب : «أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء؟!» . ونحوه لمسلم .

(١) الحديث عند البخاري (١٠٠٧ و١٠٢٠ و٤٦٩٣ و٤٧٧٤ و٤٨٠٩ و٤٨٢٠ و٤٨٢١) ، ومسلم (٣٩/٢٧٩٨ و٤٠) ، وكذا الترمذي (٣٣٠٧) وصححه ، وابن جرير (١١١/٢٥ - ١١٢) ، والطيالسي (٢٩٣) ، وأحمد (٣٨٠/١ - ٣٨١ و٤٣٤ و٤٤١) مختصراً ومطولاً بمعنى ما ذكره المؤلف لا بلفظه ، وبعض رواياته مركبة من أكثر من رواية .

فدعا رسول الله ﷺ ، فسقوا الغيث ، فأطبقت عليهم سبعاً ، فشكا الناس كثرة المطر ، فقال :

«اللهم ! حوالينا ولا علينا» .

فانحدرت السحابة[1] عن رأسه ، فَسُقِيَ الناس حولهم .

قال : لقد مضت آية الدخان ، وهو الجوع الذي أصابهم ، وذلك قوله : ﴿**إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون**﴾ [الدخان : ١٥] ، وآية الروم ، والبطشة الكبرى ، وانشقاق القمر ، وذلك كله يوم بدر[2] .

---

(١) الأصل : «فانجذب السحاب» ، والتصحيح من «البخاري» و«الدر» .

(٢) هذه الرواية ليست للشيخين ؛ وإنما هي للبيهقي ؛ كما في «الفتح» (٥١١/٢) ، و«الدر المنثور» (٢٨/٦) ، وإنما للبخاري الشطر الثاني منها معلقاً ، ووصلها الجوزقي والبيهقي ، وفي إسنادها أسباط بن نصر ؛ قال في «التقريب» : «صدوق كثير الخطأ» ، وفي روايته نكارة ظاهرة ؛ وهي قوله : «وذلك كله يوم بدر» ؛ لأن انشقاق القمر إنما كان في (مكة) ؛ كما هو معلوم في أحاديث كثيرة في «الصحيحين» وغيرهما ، وقد لاحظ هذا الإمام البيهقي ، ولهذا فسر الرواية بأن راويها لم يرد آية القمر . ولا يخفى أن هذا نوع من التأويل قد يستساغ حين تكون الرواية سالمة من الضعف ، وهذه ليست كذلك ؛ كما سبق بيانه . على أنه قد خفي على البيهقي أن فيها نكارة أخرى ؛ وهي جعله آية الدخان مما وقع يوم بدر ، وهي إنما وقعت في (مكة) ؛ كما هو الظاهر من روايات الحديث ؛ بل قد صرح بذلك ابن مردويه في روايته عن ابن مسعود : ﴿**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾ قال : «جوع أصاب الناس بـ (مكة)» ؛ كما في «الدر» (٢٨/٦) . على أن فيه نكارة أخرى ؛ وهي قوله : «فشكا الناس . . . فسقي الناس حولهم» ، فإن هذا في حديث أنس في استسقائه ﷺ في (المدينة) (انظر مختصر البخاري ٤٩٧) ، فاختلط على الراوي هذا بحديث الباب فأدخله فيه ، وذلك مما جزم به الداودي وغيره ، ونسبوا أسباط بن نصر إلى الغلط فيه . وقد حاول الحافظ في «الفتح» (٥١١/٢) تبرئته من ذلك بشاهد ذكره من حديث كعب بن =

قال البيهقي : يريد ـ والله أعلم ـ البطشة الكبرى ، والدخان ، وآية اللزام كلها حصلت بـ (بدر) .

قال : وقد أشار البخاري إلى هذه الرواية[1] .

ثم أورد من حديث ابن عباس قال :

جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ يستغيث من الجوع ؛ لأنهم لم يجدوا شيئاً حتى أكلوا العهن[2] ، فأنزل الله تعالى : ﴿**ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون**﴾ [المؤمنون : ٧٦] .

قال : فدعا رسول الله ﷺ حتى فرج الله عنهم[3] .

ثم قال الحافظ البيهقي :

وقد روي في قصة أبي سفيان ما دل على أن ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان

= مرة أو مرة بن كعب ، ويأتي بيان ما فيه قريباً إن شاء الله تعالى .

وأما آية الروم ففيها قول آخر ؛ وهو أنها وقعت عام الحديبية ، ولم أجد ما يرجح أحدهما على الآخر ، وقد ذكرهما المؤلف في «تفسيره» ، وقال : «والأمر في هذا سهل قريب» .

(١) قلت : وذلك في تعليقه إياها كما تقدم .

(٢) كذا الأصل ، والصواب : «العِلهز» ؛ كما في «المستدرك» وغيره من المصادر الآتية ، قال ابن الأثير : «هو شيء يتخذونه في سني المجاعة ؛ يخلطون الدم بأوبار الإبل ، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه» .

(٣) قلت : وإسناده صحيح ، وقد رواه النسائي ، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير المؤلف» ـ وابن جرير (٤٥/١٨) ، وصححه الحاكم (٣٩٤/٢) ، ووافقه الذهبي .

مرتين . والله أعلم[1] .

[المستدرك]

عن أُبَيٍّ بن كعب أنه قال :

(١) قلت : كأنه يشير إلى ما أخرجه في «الدلائل» ؛ كما في «الفتح» (٢/٥١١) ؛ قال الحافظ : «ثم وجدت في «الدلائل» للبيهقي من طريق شبابة عن شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن شرحبيل بن السمط عن كعب بن مرة ـ أو مرة بن كعب ـ قال : دعا رسول الله ﷺ على مضر ، فأتاه أبو سفيان فقال : ادع الله لقومك ؛ فإنهم قد هلكوا . ورواه أحمد (٤/٢٣٥ - ٢٣٦) ، وابن ماجه (١٢٦٩) من رواية الأعمش عن عمرو بن مرة بهذا الإسناد عن كعب بن مرة ولم يشك ، فأبهم أبا سفيان ؛ قال : جاءه رجل فقال : استسق الله لمضر . فقال : «إنك لجريء ! ألمضر؟!» . قال : يا رسول الله ! استنصرت الله فنصرك ، ودعوت الله فأجابك . فرفع يديه فقال : «اللهم ! اسقنا غيثاً مغيثاً مريعاً مريئاً طَبَقاً عاجلاً غير رائث ، نافعاً غير ضار» . قال : فأجيبوا . فما لبثوا أن أتوه فشكوا إليه كثرة المطر ، فقالوا : تهدمت البيوت . فرفع يديه وقال : «اللهم ! حوالينا ولا علينا» . فجعل السحاب يتقطع يميناً وشمالاً . فظهر بذلك أن الرجل هو أبو سفيان ؛ لكن يظهر لي أن قائل : «قال : يا رسول الله ! استنصرت الله . . .» إلخ هو كعب بن مرة راوي هذا الخبر ؛ لما أخرجه أحمد أيضاً والحاكم من طريق شعبة أيضاً عن عمرو بن مرة بهذا الإسناد إلى كعب قال : دعا رسول الله ﷺ على مضر ، فأتيته فقلت : يا رسول الله! إن الله قد نصرك وأعطاك واستجاب لك ، وإن قومك قد هلكوا . . . الحديث . فعلى هذا كأن أبا سفيان وكعباً حضرا جميعاً ، فكلمه أبو سفيان بشيء وكعب بشيء ، فدل ذلك على اتحاد قصتهما ، وقد ثبت في هذه ما ثبت في تلك من قوله : «إنك لجريء» ، ومن قوله : «اللهم ! حوالينا ولا علينا» ، وغير ذلك ، وظهر بذلك أن أسباط بن نصر لم يغلط في الزيادة المذكورة ، ولم ينتقل من حديث إلى حديث . وسياق كعب بن مرة يشعر بأن ذلك وقع في (المدينة) بقوله : «استنصرت الله فنصرك» ؛ لأن كلاً منهما كان بـ (المدينة) بعد الهجرة ؛ لكن لا يلزم من ذلك اتحاد هذه القصة مع قصة أنس . . .» .

قلت : هذا الأخير مُسَلَّم ؛ لكن استشعاره بأن قصة كعب وقعت في (المدينة) ـ وهو الظاهر ـ ينافي اتحاد قصته مع قصة أبي سفيان المتقدمة ؛ فإنها كانت في (مكة) . والله أعلم .

في هذه الآية : ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ [السجدة : ٢١] قال :

المصيبات في الدنيا ـ قال : ـ والدخان قد مضى ، والبطشة واللزام .

أخرجه مسلم (٢٧٩٩) ، وابن جرير (١٠٨/٢١) ، وأحمد في «المسند» (١٢٨/٥) ، وصححه الحاكم (٤٢٨/٤) . [انتهى المستدرك] .

فصل

ثم أورد البيهقي قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى : ﴿ألم . غُلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذٍ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ [الروم : ١ ـ ٥] .

ثم روى عن ابن عباس قال :

كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل الكتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ؛ لأنهم أهل أوثان ، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر ، فذكره أبو بكر للنبي ﷺ ، فقال :

«أَمَا إنهم سيظهرون» .

فذكر ذلك أبو بكر للمشركين ، فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلاً ؛ إن ظهروا كان لك كذا وكذا ، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا . [فجعل أجلاً خمس سنين ، فلم يظهروا] .

فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ ، فقال :

«ألا جعلته ـ أراه[1] قال : ـ دون العشر؟» .

فظهرت الروم بعد ذلك[2] .

---

(١) الأصل : «أداة» ! والتصحيح من المصادر الآتية في تخريج الحديث .

(٢) أخرجه أيضاً أحمد (١/٢٧٦ و٣٠٤) ، والترمذي (٣٢٤٥) ، وابن جرير (٢١/١٦ ـ ١٧) ، وأبو نعيم في «الدلائل» (ص١٢٣) ، والحاكم (٢/٤٤٥) ، وصححه هو والترمذي ، وله =

وقد أوردنا طرق هذا الحديث في «التفسير» ، وذكرنا أن المُنَاحِبَ[١] ـ أي : المُرَاهِن ـ لأبي بكرٍ أُمَيَّةُ بنُ خلف ، وأن الرهن كان على خمس قلائص ، وأنه كان إلى مدة ، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله ﷺ ، وفي الرهن ، وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر ، أو كان يوم الحديبية . فالله أعلم .

= طريقان آخران عن ابن عباس عند ابن جرير .

(١) من (النَّحْب) : وهو هنا ما يوضع بين المتراهنين يتراهنون عليه . ووقع في الأصل : «المباحث» ، وهو خطأ ظاهر .

فصـــل
في الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم عروجه من هناك إلى السماوات وما رأى هناك من الآيات

ذكر ابن عساكر أحاديث الإسراء في أوائل البعثة ، وأما ابن إسحاق ؛ فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين ، وهو الأظهر .

وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك مستقصاة عند قوله تعالى : ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾ [الإسراء : ١] .

فلتكتب من هناك على ما هي عليه من الأسانيد والعزو ، والكلام عليها ومعها ، ففيها مقنع وكفاية . ولله الحمد والمنة[١] .

---

(١) [هذا آخرُ ما خَطَّهُ بيدِهِ شيخُنا المُحَدِّثُ العَلامَةُ محمد ناصرالدين الألباني رحمه الله تعالى في «صحيح السيرة النبوية» ، وقد تُوُفِّي قبل إكمال العمل في هذا المُصَنَّف .

وصلّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على سيدِنا محمد ، وآلهِ وصحبِهِ أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمدُ لله ربِّ العالمين] . الناشر .

الفهارس



١ ـ فهرس المواضيع والفوائد

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
من الواجب التوفيق بين النصوص الثابتة شرعاً ما أمكن ، وبيان أن الحديث الذي استدل به الدكتور : «لا أشك ولا أسأل» لا يصح ؛ لأنه من بلاغات قتادة ومراسيله !	
ـ صفة رسول الله ﷺ في التوارة بصفته في القرآن .	٧٧
ـ وفي الإنجيل البشارة بـ (الفارقليط) ، والمراد محمد ﷺ .	٨٠
ـ استدراك المؤلف على ابن كثير حديث عوف بن مالك الأشجعي ؛ وفيه دخوله مع النبي ﷺ كنيسة اليهود بـ (المدينة) يوم عيد لهم ، وعرضه ﷺ عليهم الإسلام ، فلم يُجبه منهم أحد ؛ إلا عبدالله بن سلام آمن وخرج معهما ، وهو شاهد بني إسرائيل .	٨٠
ـ باب في هواتف الجان ؛ وهو ما ألقته الجان على ألسنة الكهان ومسموعاً من الأوثان .	٨٢
ـ باب كيفية بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، وذكر أول شيء أُنزل عليه من القرآن العظيم .	٨٤
ـ رؤياه ﷺ عجائب قبل بعثته ، وحُبِّبَ إليه الخلاء والانفراد عن قومه ؛ لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام .	٨٨
ـ **فصل** ، فيه ذكر فترة الوحي ، وأن أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي : ﴿يا أيها المدثر﴾ ، وأن أول ما نزل من القرآن مطلقاً : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ .	٩٦
ـ بيان أنّ النبوة حصلت بسورة (العلق) ، وأنّ الإرسال إلى الناس حصل بسورة (المدثر) .	٩٨

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

٢ ـ فهرس الأحاديث الصحيحة

٣ ـ فهرس الأحاديث الضعيفة

٤ ـ فهرس الآثار

٥ ـ فهرس غريب الألفاظ

٦ ـ فهرس الرواة

(ف ـ ك)

(م)

❊ ❊ ❊